الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية

تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد. تايباد. خراسان

السنة السابعة، الرقم ١٩، محرم الحرام ١٤٤٠

٢٠ـ ١٩

مهمة المدارس

المرأة في حضن الإسلام

من لبورما و صراخها؟

من تايباد إلي جزيرة قشم

الصحوة الإسلامية لاتكون إلا بصحوة أهل العلم

مسجد كولونيا نظم البناء من قبل رابطة المسلمين الألمانية (DITIB) المسجد صُمم على الطراز العثماني، وجدران من الزجاج، ومآذنتين ارتفاع ٥٥ مترا وقبة. يكون له سوق، وتضم مكتبة للمسلمين ومواقع أخرى للتفاعليين الأديان. ويكون أحدأكبرالمساجد في أوروبا.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزًّا ولا شرفًا ولا راحةً ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق؛ لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم، ولا يعظم عندهم قدر المخالط لهم، ولهاذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم، وإذا رأي العوام أحد العلماء مترخصًا في أمر مباح، هان عندهم. فالواجب عليه صيانة علمه، وإقامة قدر العلم عندهم.

فقد قال بعض السلف: كنا نمزح ونضحك؛ فإذا صرنا؛ يقتدى بنا، فما أراه يسعنا ذلك.

وقال سفيان الثوري: "تعلموا هذا العلم، واكظموا عليه، ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب".

فمراعاة الناس لا ينبغي أن تنكر. وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة: "لولا حدثان قومك في الكفر، لنقضت الكعبة، وجعلت لها بابين "

ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه الأشياء رياء، إنما هي صيانة للعلم. وبيان هذا أنه لو خرج العالم إلى الناس مكشوف الرأس، أو في يده كسرة يأكلها؛ قل عندهم، وإن كان مباحًا، فيصير بمثابة تخليط الطبيب الآمر بالحمية.

فلا ينبغي للعالم أن ينبسط عند العوام، حفظًا لهم، ومتى أراد مباحًا.... فلا ينبغي للعالم أن ينبسط عند العوام، حفظًا لهم، ومتى أراد مباحًا؛ فليستتر به عنهم.....، فإن أردت اللذة والراحة؛ فعليك أيها العالم بعقر بيتك، وكن معتزلًا عن أهلك، يطب لك عيشك، واجعل للقاء الأهل وقتًا، فإذا عرفوه، تصنعوا للقائك، فكانت المعاشرة بذلك أجود. وليكن لك مكان في بيتك تخلو فيه، وتحادث سطور كتبك، وتجري في حلبات فكرك! واحترس من لقاء الخلق، وخصوصًا العوام! واجتهد في كسب يعفك عن الطمع! فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا. وقد قيل لابن المبارك: ما لك لا تجالسنا؟ فقال: أنا أذهب فأجالس الصحابة والتابعين. وأشار بذلك إلى أنه ينظر في كتبه.

ومتى رزق العالم الغنى عن الناس والحلوة؛ فإن كان له فهم يجلب التصانيف، فقد تكاملت لذته، وإن رزق فهما يرتقي إلى معاملة الحق ومناجاته؛ فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات.

مجلّة الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدر من جامعة أنوارالعلوم خيرآباد ـ تايباد
المشرف العام:
الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده
رئاسة التحرير:
الأستاذ عبدالواحد المؤمني (علي بائي)

الصحوة الإسلامية لاتكون إلا بصحوة أهل العلم ..... مجتبى أمتي / ٢
نصائح غالية ..... عبدالأحد حنفي / ٤
كلمة للمدرسين ..... قاسم حسيني / ٦
مهمة المدارس ..... سيديوسف موسوي / ٧
لبيد بن ربيعة(٢) ..... محمد عبدالحميد / ٨
المرأة في حضن الإسلام ..... عبدالمجيد خداداديان / ١٢
من تايباد إلى جزيرة قشم ..... عبدالغفار ميرهادي / ٢٠
ما هي آراء الأمام الندوي... ..... دين محمد محمد آلق / ٢٣
التهجد ..... ياسر شجاعي / ٢٧
من لبورما وصراخها؟ ..... عبدالحميد أميري / ٣١
التعريف بكتاب دراسات في أصول علم الحديث... ..... عبدالغفار ميرهادي / ٣٦
واحة الشعر ٣٨/
حقيقة السعادة ..... حسين رحيمي / ٣٩
أنباء الجامعة والعالم ٤٠/

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين و أصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي و الصحوة الإسلامية في الأمة، و تستدعي مساهمة جميع الكتّاب و أصحاب القلم في دورها الثقافي.

المراسلات:
إيران ـ خراسان ـ تايباد ـ خيرآباد ـ جامعة أنوارالعلوم ، مجلة الأنوار.
الموقع : WWW.ANVARWEB.NET
Email:al_anvar@anvarweb.net:

الصحوة الإسلامية لاتكون إلا بصحوة أهل العلم

مجتبى أمتي

لايزال التاريخ يسجّل كوارث المسلمين الراهنة وما يحل بهم من الرزايا ولا يتوقف تسجيله، وما يزيد قلق المتألمين والدعاة المخلصين هو أن المسلمين ومصائبهم تزداد يوماً فيوماً ويسبب ذلك أن ينعى أعداءهم ويتكهنوا بأن الإسلام سوف يُطوىٰ بساطه وينطفئ نوره وتنطمس معالمه وأن المدنية تنطبق إذا مُحِيَ الدينُ من الوجود وصار منطوياً في المساجد والمعابد، لكن وعد الله لا يخلف وإن هذا الدين سوف يُظهره الله على الدين كله وكفىٰ بالله شهيداً وإن هذا الدين صالح ليساير كل زمان ومكان وهو الدواء لجميع الأدواء النازلة بالإنسانية والبشرية والمهم أن نعلم أن المسلمين في العصر الحاضر في غفوة وسُبات لا في موت وزوال، وذلك يعود إلى سُبات زمرة العلم وغفوتهم وتخليهم عن رسالتهم وانشغالهم بزخارف الدنيا بدل التغاضي عنها والتزهد فيها والمشهور أن العلماء بمنزلة القلب للأمة، ولا غرو أن يسري ضعف القلب إلى سائر الجوارح ويضعّفها، والتاريخ خير شاهد على أن علماء الأمة كلما قاموا بإصلاح نفوسهم ومجتمعهم هبّت رياح الإيمان من جديد وتحسّنت الأحوال وصار الخير يموج من كل جانب، وعصر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يشعرنا هذه الحقيقة أكثر، وقد أشار إلى هذه النكتة ابن عباس -رضي الله عنه- مرفوعاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء. رواه السيوطي في الجامع الصغير وابن عبدالبر في جامع العلم وفضله.

فالمطلوب أن يُعنىٰ بهذا الجانب -إصلاح أهل العلم- ببرامج مدوّنة مكثفة دقيقة منذ الخطوة الأولى وهذه الأيام المباركة العطرة التي يفد فيها الطلاب لطلب العلم، ينبغي أن يُتفاءل بها لدور جديد ومرحلة مشرقة لفتح باب جديد والوثوب إلى الحياة الإيمانية الربانية للعالم كلّه إذا عرف العلماء واجبهم نحو الأمة؛ والمدارس الدينية رسالتهم في تربية الرجال الأفذاذ الأكفاء والقادة الصالحين، فهنالك واجبات لأصحاب المدارس والطلاب، يطالبون بالعمل بها حتى يتكوّن ذلك الجيل المؤمن المتحمس الذي يحمل رسالة الإسلام ويؤديها كما حقها، أمّا الذي يكلّف به الطالب حتى يهتمّ به هو أن يقصد بعلم الله الدار الآخرة ونصر الإسلام،

عن النبي صلى الله عليه و سلم: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس و إذا فسدا فسد الناس: العلماء و الأمراء.

لاالطمع في الطموحات المادية والنفسيّة والاشتهار وما إلى ذلك من المنافع الغير الدينية، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الدجى تتجلى عنهم كل فتنة (رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص)، فتبديد الظلمات والفتن منوط بالإخلاص كما ورد في الحديث، وأن يدوام الطالب على مراقبة الله في السر والعلانية حتى يبلغ مرتبة الإحسان ويرى ذلك من أجلّ أهدافه من كسب العلم، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: ليس العلم ما حُفِظ، العلم ما نفع. وأهم المنافع هو دوام المراقبة وعن السلف -رحمهم الله-: «حق على العالم أن يتواضع لله في سّره وعلانيته ويحترس من نفسه ويقف عمّا أشكل عليه». وأن يجتهد في كسب العلم ويجانب الكسل والدعة والرّاحة ويضحّي في سبيل العلم بكل غالٍ ورخيص.

حق على العالم أن يتواضع لله في سّره وعلانيته ويحترس من نفسه ويقف عمّا أشكل عليه». وأن يجتهد في كسب العلم ويجانب الكسل والدعة والرّاحة ويضحّي في سبيل العلم بكل غالٍ ورخيص.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي
ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد
أضاع العمر في طلبِ المحال
تروم العز ثم تنام ليلاً
يغوص البحر من طلب اللآلي

وليكن الطالب مهتماً غاية الاهتمام بالآداب جميعها، لاسيّما أدب الأستاذ، فلا يترفّع عن الأستاذ مهما كان ذكيّاً، فإنه آفة الآفات وبليّة البلايا وليتواضع عنده بالقلب والقول والفعل، لايسخطه ولايعصي أمره في السر والعلانية ولايغتابه ولايستمع إلى المغتاب عنه. أمّا الذي يُكلف به أصحاب المدارس والأساتذة الأجلاء أختصره في جملة هو: أن يقفوا حياتَهم ويجودوا بها لتربية تلامذتهم لكي ينشأ ذلك الجيل المثالي الربانيّ ويجعلوا في الوصول إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة وقدوة ويكثروا من مطالعة سيرته وأحاديثه حتى يحدث الله بعد ذلك أمرا ولاحول ولاقوة إلا بالله العليّ العظيم.

نصائح غالية، ثمينة، ذهبية، هدية من الأستاذ عبد الأحد حنفي

التلخيص والتعريب: عبدالمجيد خداداديان

قام الشيخ عبدالأحد حنفي في الحفلة الافتتاحية للعام الدراسي الجديد في جامعة أنوار العلوم بخيرآباد، وقد اجتمع فيها جميع الطلاب فخاطبهم بما فيه شفقة الأب ورصانة الحكيم وبصيرة البصير وإحاطة الخبير وجد الأمير.

فقال: علينا أن نشكره غاية الشكر، الذي وفقنا لأن نجتمع في هذه المدرسة مرة أخرى، إن كانت غاية هذا العمل ونتيجته وأجره محسوسة وملموسة كما هو الحال في أمور الدنيا فلعله ما كان يبقى مسلم واحد يهنأ له أن يشتغل بأمر آخر سوى التعليم والتعلم، ولكن الله تعالى جعل الأجر من المغيبات، والإيمانُ من أهم أركانه الإيمان بالمغيبات، ونحن نؤمن بما قال الله والرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إيماناً لا يشوبه شك، فعلينا أن نشكر هذه النعمة العظمى.

أحبابي وأعزائي الكرام، لا شك أن المدارس الدينية مازالت ولا تزال على مر التاريخ الحصون الحصينة للدفاع عن الإسلام والعقائد الإسلامية، وكذلكم الآن، فكلما وأينما حدثت حادثة وكارثة للمسلمين أو أغيرت على عقائدهم غارة فأبواب المدارس أول باب يُطرق والعلماء أول مرجع يُرجَع إليه.

كما كان في هند، إذا كانت الفتن العويصة تنهمر على أهلها وعقائدهم الإسلامية كقطع من الليل مظلماً، فإذا بعدد من الناس، سخرهم الله ووفقهم ليأسسوا مدارس علمية وينهجوا فيها مناهج تعليمية دراسية تربوية التي لا تزال قائمة إلى الآن وستبقى إلى قيام الساعة إن شاء الله.

فوضع المدارس الدينية وبناءها كانت على الدفاع عن العقائد الدينية وبث عطر الأخلاق النبوية.

فالمدارس قلاع لصيانة العقائد الإسلامية وموارد عذبةٌ صافيةٌ لارتواء العطاش من الأخلاق النبوية، ولكن، إن ضعفت جدر هذه الحصون أو توحلت هذه الموارد العذبة الصافية جراء أعمالنا السيئة، فلن نستطيع أن نعلق أملاً بها لتؤدي رسالتها.

ولكني أقول بكل صراحة إنني أعتقد مع الأسف الشديد أنه قد ظهرت وتُشاهد آثار ذلك الضعف والتوحل، وأنا أهيد معظم مصائب المسلمين إلى العلماء والمراكز العلمية. الذين كان عليهم أن يكونوا حملة لواء الهداية صاروا بأنفسهم أكثر الخلق إلجاماً

في مستنقع الخلافات والتنازعات. صدقوني أن المجتمع يصطبغ بصبغة أهل العلم والمدارس العلمية، كلما وأينما وجد عالم يعمل بما يعلم وليس واجبا أن يكون غزير العلم، برز وعُوينَ التفاوت في ذلك المجتمع. على المدارس الدينية أن تقوم بأداء رسالتها حق القيام، قياماً حقيقياً صادقاً، ليست المدارس عبارة عن الأبواب والجدر والمباني، بل المتعلمون والمعلمون هم الجذور والأصول للمدارس. نحن الذين يعيّنون ويحددون بأعمالهم وأخلاقهم درجة العلم ومستواه في المجتمع.

إن كنت لا أصدق ولا أومن بطريقي مائة في المائة فلن يجدر بي أن أتوقع وأترقب من المجتمع أن يؤمن بي ويصدقني، فالعلينا أن نؤمن بصدق العلوم والطريق الذي نسلكه. هذا الطريق لا ينتهي إلى مستقبلنا فحسب، بل تَعلّقَ بها مستقبل أمة، فإن كنتم تؤمنون وتصدقون فانطلقوا بسم الله ولا تبخلوا في الوصول إلى الغاية بأي جهد، ومن كان يظن أنه ليس بطل الميدان فليتخل عنه وليخل المسير، فإنه ليس شرطاً لدخول الجنة أن يكون المرء خريجاً من إحدى المدارس الدينية، فإن سبل الوصول إليها كثيرة، فلا تضيعوا أوقاتكم وأموال الناس، إن كنتم لا تؤمنون بهذا المسير الذي دخلتموه فقد خنتم أنفسكم وأسَركم والمسلمين جميعاً. أنا أقول بالقطع واليقين، إن كان العالم عالماً حقاً طاف الناس به طواف الفراشات بالمصابيح وإن لم يكن عاملاً، وإن كان عاملاً فنور على نور. المشكلة أننا متأخرون في كلتا الساحتين، لقد كان علينا يوم تسلمنا هذه الهدية أن نكرمها ونوقرها ونبجلها حق الإكرام والتوقير والتبجيل، واحترام العلم أن نعمل به قدر ما نعلم. العلم والعلماء عِرض الإسلام، فلا نبخل عن أي جهد للاحتفاظ به وصيانة شرفه. ونكتة حياتية أخرى هي أن المراعي للآداب يحصل على حظ وافر وأن التارك لها لا يحصل على شيء وسيبقى صفر اليدين. الدين عبارة عن مجموعة من الآداب، الصلاة مجموعة من الآداب وكذلك الحج والصيام آداب بحذافيرهما. الآداب جديرة بكل أحد وأجدر بأهل الطلب، الأدب هو أهم شيء يبارك في العلم. نرجو من الله تعالى أن يكون قد قدّر لنا عاماً فائضاً بالخير والبركة والإيمان.

فلا تضيعوا أوقاتكم وأموال الناس، إن كنتم لا تؤمنون بهذا المسير الذي دخلتموه فقد خنتم أنفسكم وأُسَركم والمسلمين جميعاً.

أنا أقول بالقطع واليقين، إن كان العالم عالماً حقاً طاف الناس به طواف الفراشات بالمصابيح وإن لم يكن عاملاً، وإن كان عاملاً فنور على نور.

المشكلة أننا متأخرون في كلتا الساحتين

«كلمة للمدرسين» خطبة الشيخ سليم الله خان للمدرسين

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ»
وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إنّما بعثت معلماً»
وقال : «العلماء ورثة الأنبياء وإنّما الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما، إنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»
أحبّتي الكرام! قد سمعتم بعض الخطب واستمتعتم بها ـ جعلها الله لكم خيرا وفلاحا ـ أشير إلي أن أقدم لكم بعض النكت واللطائف وأنا كمعلم أقدم لكم بعض اللطائف مما جرّبت ـ وفّقني الله أن أبيّنها بخير نية (الإخلاص) ومتّعني و إياكم بها ـ

التخطيط

حسبما وجدت أوّل واجب على المعلم أن يخطّط للذين حضروا المدرسة لتعلم الدين .
قد ثبت بالمشاهدة أنّ الطالب ـ مهما ساء ماضيه ـ حينما تمهّد له بيئة صالحة وتربية سليمة انقلبت حياته محلّ قبطة، وأنا شاهدت ذلك مرارا ؛ فإذن يجب على أصحاب المدارس أن يبرمجوا لتربية الطالب كما يبرمجون لتعلمه.
لا أعني بالتربية أن نأخذ السياط ونتّبع الطلبة فنوحشهم بذالك ؛ بل لابد من الليونة والتلطف في الغالب وأن لانستخدم الضرب إلّا عند الاضطرار .

من هو الأستاذ المثالي؟

أمارة الأستاذ المثالي أن يهتمّ الطلبة بدرسه ولا يسوغ لهم أن يتغيّبوا عن درسه فيُجهدوا أنفسهم في الأخذ منه . الأستاذ الذي يحضره الطالب مرّة ويتغيّب أخرى ولا يبالي بالتعلّم فذاك أستاذ فاشل ـ غير موفق ـ ، والموفق من يعشقه الطلبة ويحضرون درسه بحفاوة والتذاذ .
وهذا الأمر لايتحقق إلا إذا حضر الأستاذ باستعداد كامل يحفظ الدرس ويستطيع أن يلقيه باساليب شتى .
لا ينبغي للأستاد أن يفتقر إلى الكتاب في التدريس حتى يعجز عن إلقاء الدرس بفقد الكتاب ؛ عليه ان يودع مُفاد الدرس في ذاكرته قبل أن يحضر في الصف، فإذا حضر ألقى الدرس منجما مثلا : من هنا إلى هنا يبيّن الموضوع الفلاني، ثم يلخّص هذه القطعة ببيان سهل يسير؛ ثم يطبّق ما قال على عبارة الكتاب . فإنّ بهذا النمط يسهل الفهم على الطالب .
أنا وجدت بعض أساتذتي يستغنون عن الكتاب . إنّهم كانوا يدرّسون كتبا معقدة مشكلة كـ «تفسير البيضاوي» و «شرح التلويح على التوضيح» و «خيالي» بلا كتاب وكانت مراقبتهم وسيطرتهم على الصف بوجه يخيّل إلينا أنّ الطالب يمكن أن يتغافل في الصلاة ولكن التغافل في صفهم مستحيل ؛ فسبّب ذلك أنّ الطلبة كانوا يفهمون الدرس ولا يتغيّب أحد .

مراعاة الضعفاء

الطلبة على استعدادات مختلفة منهم من يفهم الدرس بالمطالعة ومن يفهم بإلقاء الأستاذ مرّة ويحتاج بعضهم إلى أكثرمن ذلك ؛ فبناء على ما قلنا، يجب على الأستاذ أن يفنّن في البيان ومن لم يراع ذلك فليس باستاذ مثالي موفق .

للطالب أن يسأل

قد شاهدت علماء يسخطون على الطالب حينما يطرح سؤالا ويسكتونه بأجوبة ملزمة وإنه لأسلوب خاطئ، وواجب الأستاذ أن يبحث عن منشأ السؤال ويأتي بجواب مقنع شاف .
وبالرغم مما أسلفنا يلزم ضبط العلاقة بين الأستاذ وتلامذته . هناك بعض الأساتذة يختلط بالطلبة حتى لا يتميز عنهم والبعض يفرط ويواجه التلامذة عبوسا قمطريرا فلا يجترئ الطالب أن يكلمه فضلا عن السؤال .

الأسلوبان كلاهما سقيمان

إنّما عليكم أن تضبطوا معاملتكم مع الطلبة ـ ليبق هيبة الأستاذ في قلوبهم ـ في بيئة لا يعوق التلميذ عمّا ينوبه من الأسئلة عائق .
الطالب للدين لاينبغي أن يصرف في غيره لزام على أصحاب المدارس أن يغرسوا في أفكار الطلبة ما يعدّون به أنفسهم ـ بعد التخرج ـ موقوفين لخدمة الدين .
من اشتغل بالتجارة أو الصناعة أو الزراعة بعدما تخرّج في المدرسة لا يتمتّع بعلمه ولا يجتهد ليمتّع آخرين .
عثرت على كثير من المتخرّجين من ذوي الأذهان الذكيّة والاستعدادات الراقية لم يرضوا بعد التخرّج التدريس فاشتغل بعضهم باسياقة وتوظّف بعضهم في العسكر وأنشأ آخر منهم مصنعا، ألا يوجد من يتكفل هذه الأشغال سوى العلماء؟
هناك عدد ضئيل من ملايين سكان الأرض يسلكون طريق العلم فأسف بعد الأسف أن لا يقف هؤلاء حياتهم على نشر الدين وعلومه .
يظهر من عمل علماء يوجّهون أبناءهم للتعلم في فروع أخرى ـ غير العلوم الدينية ـ أنّهم يضنّون بأبناءهم عن هذا العلم وكأنّهم يرفّعون أبناءهم عمّا وقعوا فيه من سوء الحظ ؛ وإني أعتقد أنّ من تعلّم الدين ولا يسوغ له أن يقتحم ابنُه هذا المضمار ولا يبذل أيّ جهد في خدمة الدين ونشر علومه فهو يسيء وجه الدين ويفضحه . ـ عفا الله عنا ـ كفور من لا يبالي بوراثة النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ التي هي ضرورة حفظ الدين ويبتغي غير ذلك لنفسه وأولاده .
أسأل الله أن يتقبلكم لخدمة الدين وأن يستخدم جلّ استعداداتكم ومؤهلاتكم لنشر الشريعة ويوفقنا أجمعين .

ألقيت في مدرسة العثمانية بهادرآباد- كراتشي-مايو٢٠١٠

مهـــمة المـــــدارس

سيديوسف موسوي

إن من أهم الركائز الرئيسة التي يتطلب مزيدا من الانتباه والاكتراث، ويجب أن تكون موضع عناية جميع المدرسين والأساتذة هي تكوين الشخصيات الإسلامية التي تتسم بصفات، تركت فراغا هائلا ضخما في أمتنا المسلمة.

إن المجتمع الإسلامي بسبب الابتعاد من القرون الذهبية الأولى، وعن القرآن، والسنة النبوية الصافية، أصبحت لاتهتم بما يجب الاهتمام به، وهو موضوع الصفات والقيم الإسلامية، والأعمال الظاهرة، والقيام بالدعوة الإسلامية التي تركت قديما، وستترك في المقبل أعمق الآثار في نفوس الإنسانية.

فالتفوق العلمي، بالغا ما بلغ، لن يجدي نفعا ولن يفتح نافذة فلق الرجاء في ظلمة القلق، واليأس، والارتداد، ماعري من ثوب العمل، ولم يشقَّ إلى القلب سبيلا. فالصفات الشخصية الملائمة للدين والمتفقة مع القيم، وحب الصلاح للناس هي ما يجعل كلمتنا مؤثرة، وأعمالنا مثيرة كما كان شأن الصحابة الكرام. فإنه يسترعي الانتباه أنهم لم يكونوا، حين قدموا بلادنا، على علم وافر، ووقوف تام على لغتنا، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، ويضع أمامه العديد من علامات الاستفهام، هو أنّ سكان إيران كيف تحولوا إلى دين جديد واعتنقوه، ولم يكتفوا على ذلك، بل تعمقوا فيه، فيما بعد، حتى أصبح التاريخ يشهد لهم بالعلماء البارعين الذين يمثلون ركب العلوم، والمعارف في المجالات المختلفة من الشريعة، والطب، والنجوم، وغير ذلك.

لعلنا لانجد جوابا، مهما تفرغنا للتأمل فيه وألقينا النظرة في كتب التاريخ إلّا أن نقول: إن الحرارة التي جعلت الصحابة تحترق للمجتمع الإنساني، والهدف الأسمى الذي جاء بهم إلى إيران وغيرها من البلاد، والفكرة المصبوغة بنفحات القرآن والسنة التي تسيطرت على جناحهم وسريرتهم ثم ظهرت آثارها على جوارحهم وعلانيتهم، فتزينوا بها طوال الليل والنهار فإن ذلك كلَّه حوَّلهم إلى شخصيات أثّرت في معظم البلاد حينذاك، وكادت تؤثر في العالم بأسره، وتتفتّح لهم أبوابُه بحذافيرها لِينعم الناس بسلوكهم بيد أن فرصة الحياة لم تسنح لهم.

إذن يجب أن تكون مدارسنا تقارب المدرسة النبوية في العصر الأول، فأنا أعتقد أننا مهما اشتغلنا بالصرف والنحو والعربية وغير ذلك، ونجحنا في تعليم جيل حاذق فيها لكنهم لم يكتسبوا شخصية تقدر أن تكون أسوة لمن حولهم، فإننا لم ننجح في مهمتنا، بل وقد خبنا وخسرنا تمام الخسران، ولم نؤد الأمانة في ذمتنا.

فلابد أن ننشئ جيلا يتميز بالأعمال الظاهرة، وينشط فيها، ويَجِدُّ لها، وهو معها يبذل المحاولة ليحظى بالأعمالَ الباطنة التي هي من الظاهرة مثل الروح من الجسد. ثم لانغفل عن تعليم الفكرة الإسلامية التي تفهم الإسلام فهما صحيحا، وتعلم ما فيه من الخصائص التي جعلته تفوق الأديان كلها، وتخلد بما فيه من العلوم والمعارف، ولاتعوَجُّ أبدا، بل هو نبراس ينير الطريق لمن يبتغي سبيل الرشد مهما تقدم الزمان وتجدد العصر. وبالإضافة إلى ذلك، نزوده بفكرة الدعوة الإسلامية، وأساليبها، والجد من ورائها.

إن الطالب الذي حاز الفكرة الإسلامية، ونال فكرة الدعوة، ثم هو مستعد في سبيل ذلك ليضحي بالرخيص والثمين، والضئيل والغالي لتكون كلمة الله هي العليا، ولايهدف إلّا إلى إصلاح نفسه ومجتمعه؛ يحترق لهم ويتلهف لسعادتهم، وبعد ذلك يريد تفوق الإسلام والمسلمين في جميع المجالات والعصور، فلنهنئه على ما يملك، ولنهنئ أساتذته على ما بذلوا له ولأمثاله. وإن لم يكن كما وصفته، فلنكبر عليه أربعا، ونعزي مجتمعنا المعاصر لما يفقد المصلحين المشفقين، وإنما يمثلها رجال لايهمهم إلا أنفسهم ومتع حياتهم، ولايتعدى شعاع فكرتهم إلى من سواهم.

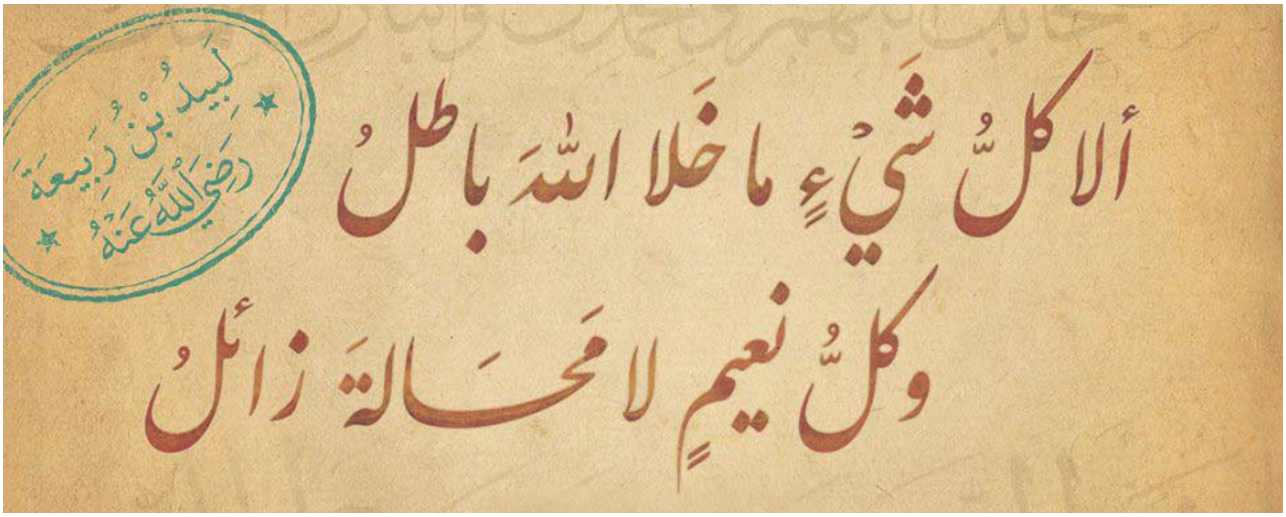

لَبيــد بن ربيعة العامِريّ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) وشِــعر الحِكمة (القسط الثاني)

ممدّد عبدالحميد

نجد في شعر لبيد لمحات حكميّة كثيرة انتشرت في كثير من قصائده، فنراه من خلالها مؤمناً بالله وحده وبصفاته العُلى وبقضاءه وقدره، ملتزماً قِيَماً أخلاقية حميدة ومبادئ إنسانية سامية جعلته موقّراً بين النّاس في جاهليّته وإسلامه، وله في قصيدة رائيّة له معانٍ حكميّة كثيرة؛ يؤيّد فيه أنّه لا سلامة للإنسان من الموت وسكراته، «كُلُّ نَفس ذائقَةُ المَوتِ ثُمَّ إلَينَا تُرجَعُونَ» (العنكبوت ٥٧) لذلك يجب عليه أن يتزوّد بالهدى والصّلاح والعمل الطّيّب، وأن يشتريَ بماله الحمدَ والذّكرالحسنَ، لأنّ حياته لا تدوم إلى الأبد، فجميع النّاس سائرون إلى مصير واحد، وليست نفس الإنسان إلا كمتاع يُعارُ له إلى أجل محدّد ثمّ يُستَرَدّ منه:

أعَــأذِل لا والله مِــن سَــلامَــةٍ
ولَو أشفَقَت نَفسُ الشَّحيحِ المُثَمِّرِ
أفِي العِرضَ بالمالِ التِّلادِ وأشتَري
بِهِ الحَمدَ إنّ الطّالِبَ الحَمدَ مُشتَري
فَإمّا تَرَينّي اليَومَ عِندَكِ سالِماً
فَلَستُ بأحيا مِن كِلابٍ وجَعفَرٍ
وإنّا وإخوانـاً لَنا قَد تَتابَعُوا
لَكَالمُغتَدِي والرّائحِ المُتَهَجِّرِ

هَلِ النَّفسُ إلاّ مُتعَةٌ مُستَعارَةٌ
تُعارُ فَتَأتِي رَبَّها فَرطَ أشهُرِ
(لبيد بن ربيعة ، ٢٠٠٤ ، ٣٥)

ونرى في قصيدة أخرى لاميّةٍ له أنّه يكشف عن إيمان عميق بالله تعالى، ويبيّن أنّ أمر الله نافذ لامحالة، وقضاءه لا يتبدّل ولا يتغيّر، ولا يقدر أحد على تغييره، ويذكر أنّ كتاب الله الحاوي مقدّراتِ العالَم محفوظٌ، وأنّ عرشه فوق سبع سماواتٍ طباقٍ، خلقَ الأرض راسيةً تحت السماوات، وجعل الماء والنّيرانَ آياتٍ وموعظةً للذين يعقلون ويتدبّرون، فتَدَبَّر أيّها الإنسان أمرك، وكلّ ما تبنيه سرابٌ إلا إيمانك وتقواك:

لله نَـافِلَـةُ الأجَـلِ الأفـضَـلِ
ولَه العُلَى وأثيتُ كُلِّ مُؤَثَّلِ
لا يَستَطيعُ النّاسُ مَحوَ كِتابِه
أنّى ولَيسَ قَضاؤُه بِمُبَدَّلِ
سَوّى فَأغلَقَ دونَ غُرَّةِ عَرشِه
سَبعاً طِباقاً فَوقَ فَرعِ المَنقَلِ
والأرضَ تَحتَهُمُ مِهاداً راسِياً
ثَبَتَت خَوالِقُها بصم الجَندَلِ
وَالمَاءُ والنِّيرانُ مِن آيَاتِه
فيهِنَّ مَوعِظَةٌ لِمَن لَم يَجهَلِ
بَل كُلُّ سَعيكَ باطِلٌ إلاّ التُّقَى
فَإذَا انقَضَى الشَّيءُ كَأن لَم يُفعَلِ .
(ديوان لبيد ٦٨)

فإنّ هذه القصيدة تمتلئ بالمعاني الحكميّة، ويُلاحَظ أنّ كثيراً من هذه المفاهيم تنطبق تماماً مع بعض ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ، وهذا ما يُدحِض تلك الروايات التي تفيد أنّ لبيداً لم يقل بعد إسلامه إلاّ شعراً واحداً، فإنّ هذه القصيدة أكثر التصاقاً بالإسلام من الجاهليّة، وقد عاش شاعرنا أكثر من خمسين عاماً في الإسلام، و نتيقّن أنّ الشاعر لا يترك شاعريّته، إذ لا يناقض الإسلامُ الشعرَ كما لا يخفى، وخاصّةً إذا كان الشعر متوافقاً مع القِيَم الإسلاميّة، على أيّة حال ترجّح لدينا أنّ لبيد بن ربيعة قال هذه القصيدة في عصره الإسلاميّ.

وفي مستهلّ رثائه للنّعمان بن المنذر يعرّض لبيدٌ طائفة من حِكَمه وتأمُّلاته في الإنسان والحياة، فينصح المرءَ ألاّ يقع في الغيّ والضّلال، فالدّنيا غير خالدة له، لأنّ مصائد المنيّة بالمرصاد ، وعمل المرء لا ينتهي إلاّ بانتهاء حياته، ثمّ يدعو الإنسانَ إلى الاتّعاظ من الدّهر وتقلّباته المتداولة فهو لا يقدر على استعادة الماضي، ولا النّجاة ممّا هو مكتوب ومقدَّر له، ثمّ إذا لم يكن يصدّق فلينظر ما حلّ بأجداده الأوائل، لعلّ القرون السابقة تهديه إلى التّعقّل وإلى الصّواب، فكلّ شيءٍ يصير إلى زوال وفناء إلاّ الله، و الكيّس هو الّذي يتوسّل إلى الله بالطّاعة والعمل الصّالح:

ألا تَسألانِ المَرءَ مَاذا يُحَاوِلُ
أنَحبٌ فَيُقضَى أم ضَلالٌ وباطِلُ
حَبَائِلُه مَبثُوثَةٌ بِسَبِيلِه
وَيُفنَى إذا ما أخطَأتْهُ الحَبَائِلُ
إذا المَرءُ أسرَى لَيلَةً ظَنّ أنّه
قَضَى عَمَلاً والمَرءُ ما عَاشَ عامِلُ
فَتَعلَم أنْ لا أنتَ مُدرِكُ ما مَضى
ولا أنتَ مِمَّا تَحذَرُ النَّفسُ وائِلُ
وإن أنتَ لَم تُصَدِّقْكَ نَفسُكَ فانتَسِب
لَعَلَّكَ تَهديكَ القُرونُ الأوائِلُ
أري النَّاسَ لا يَدرونَ ما قَدرُ أمرِهِمُ
بَلَى كُلُّ ذي لُبٍّ إلَى اللهِ واصِلُ
ألا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ
وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

ثمّ يتابع لبيد فيذكر أنّ كل امرئ سوف تدركه الدّاهية الفظيعة، وهي الموت، وسيأتي يومٌ يحاسَب فيه كل إنسان عمّا اكتسبته يداه، ويقف أمام الله تعالى؛ فيُؤجر على الحسنات، ويُعاقَب على السيّئات والمعاصي:

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوفَ تَدخُلُ بَينَهُمُ
دُوَيهِيَّةٌ تَصفَرُّ مِنها الأنَامِلُ
وكُلُّ امرِئٍ يَوماً سَيَعلَمُ سَعيَه
إذا كُشِّفَت عِندَ الإلهِ المَحَاصِلُ

(ديوان لبيد ٧٤)

ولشاعرنا مقطع حكميّ ورد في قصيدة طويلة عرض فيها مَشاهد الصّحراء والرّحيل، وقد ركّز لبيد في بقيّة هذه القصيدة على أهمّيّة الورع والتّقوى في حياة الإنسان؛ فيَعُدُّهما التّجارةَ الرّابحةَ والثّروة المفيدة الّتي يحملها الإنسان إلى مَقَرّه الأخير، حيث يفتقر إليها أشدّ الافتقار، فلا ينفع الإنسانَ هنالك إلاّ ما يتركه من ذِكر حسن ومايقوم به من عملٍ طيّب:

رَأيتُ التُّقَى والحَمدَ خَيرَ تِجارَةٍ
رَبَاحاً إذا مَا المَرءُ أصبَحَ ثَاقِلا
وَهَل هُوَ إلاّ مَا ابتَنَى فِي حَيَاتِه
إذا قَذَفُوا فَوقَ الضَّرِيحِ الجَنَادِلا
وأثنَوا عَلَيهِ بِالَّذي كَانَ عِندَه
وعَضَّ عَلَيهِ العَائِداتُ الأنَامِلا .

(ديوان لبيد ٦١)

وعندما خرجت بنو جعفر من ديارهم في الفتوحات الإسلاميّة للجهاد في سبيل الله، حزن لبيد بن ربيعة على فراقهم حُزناً شديداً، فأخذ ينشد قصيدة مفعَمةً بالمعاني الحكميّة منفعلاً بالتعاليم والقِيَم الإسلاميّة، وهي برهان واضح على أنّ لبيداً قد نظم الشعر بعد إسلامه؛ إنّه يتحدّث في هذه القصيدة عن سمات الصالحين الأبرار بأنّهم ملازمو التّقى وهم أمناء، محافظون عليه، ثمّ يذكر المعاد ويصرّح بأنّ الله تعالى مرجع البشريّة كلّهم، إليه يعودون وإلى رحمته يفيئون، إنّه عالم الغيب والأسرار، أحصى لكلّ شيء علماً، ولا يتغمّد الله المذنبين برحمته إلاّ إذا تابوا وتبرّءوا من أعمالهم الشّنيعة واعتذروا عن غيّهم ،وأدّوا حقَّ كلِّ ذي حقٍّ:

إنّمَا يَحفَظُ التُّقَى الأبرارُ
وإلَى اللهِ يَستَقِرُّ القَرارُ
وإلَى اللهِ تُرجَعُونَ وَعِندَ
اللهِ وِردُ الأمُورِ والإصدارُ
كُلَّ شَيءٍ أحصَى كِتَاباً وعِلماً
ولَدَيهِ تَجَلَّتِ الأسرارُ
يَومَ لا يُدخِلُ المُدارِسَ فِي الرَّ
حمَةِ إلاَّ بَرَاءَةٌ وَاعتِذارُ.

ثمّ يتابع الشاعر هذا الموضوع مُشيراً إلى أنّ اللهَ تعالى عيّن ملائكة حفَظة كراماً لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون لإحصاء حسنات النّاس وسيّئاتهم،

وأنّه هو الغفور الرّحيم وحده، وهكذا سيرحل الإنسان من هذه الدّنيا مهما طال عمره، ولا تخلد إلاّ الأعمال الصّالحة، لأنّ أجل الإنسان إذا جاء فلا يُستأخَر ساعة ولا يُمهَل، حتّى ولو جاز إمهاله فلا ينفع:

وَجِسَانٌ أَعَدَّهُنَّ اللهُ لإشهادٍ وَغَفرُ الَّذِي هُوَ غَفَّارُ
وَمَقَامٌ أكرِم بِمن مَقَامٍ وَهَوَادٍ وَسُنَّةٌ وَمَشَارُ
إن يَكُن فِي الحَيَاةِ خَيرٌ أُنظِرتُ لو كَانَ يَنفَعُ الإنذارُ.

(ديوان لبيد ٤٠)

وفي قصيدة داليّة يذكر الشاعر طول عمره وسأمه من الحياة مستخلصاً مواعظ وحِكَماً خالدة، مُعلِناً عن إيمانه بوحدانيّة الله تعالى في ربوبيّته وألوهيّته ؛ فيذكر أنّ قضاء الرّبّ الماجد المحمود كائن لا محالة، فله ومنه كلّ شيء، له ومنه الفضل والعطاء والخير الكثير والمجد، فليتّعظ الإنسان، ولينظر ما حلّ بالأقوام الخالية كعاد وثمود وإرم ذات العماد من الهلاك والدّمار والموت الفاتك وليعتبر الإنسان بها:

قُضِيَ الأمُورُ وَأُنجِزَ المَوعُودُ واللهُ رَبِّي مَاجِدٌ مَحمُودُ
ولَهُ الفَواضِلُ والنَّوافِلُ والعُلا وَلَهُ أثِيتُ الخَيرِ وَالمَمدُود
وَ لَقَد بَلَتْ إرَمٌ كَيدَه وَ لَقَد بَلَتْه بَعدَ ذاكَ ثَمُودُ
خَلُّوا ثِيَابَهُمُ عَلَى عَوراتِهِم فَهُم بِأفنِيَةِ البُيوتِ هُمُودُ.

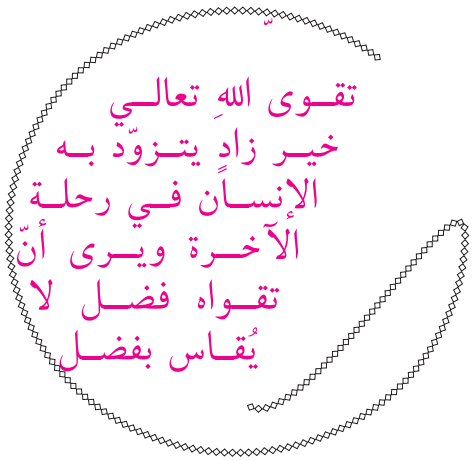

وهنا يتأكّد لنا مرة أخرى أنّ لبيد قد قرض الشعر في الإسلام، لأنّه نظم هذه القصيدة في شيخوخته، فيشكو فيها سأمه من طول الحياة المقترن بالهرم والضعف ومن تساؤل النّاس: كيف حال لبيد:

وَلَقَد سَئِمتُ مِنَ الحَيَاةِ وطُولِهَا وسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيفَ لَبِيدُ.

(ديوان لبيد ١٨)

ثمّ يذكّر بما قاله زهير بن أبي سلمى في هذا الشأن، من السأم من طول الحياة:

سَئِمتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَن يَعِشْ ثَمَانِينَ حَولاً لا أَبَا لَكَ يَسأَمُ.

(زهير بن أبي سلمى ٢٠٠٥ ، ٥)

ولبيد قد عاش أكثر من مئة وخمسين عاماً فكان أحرى بالسأم .

وفي قصيدةٍ له لاميّة يُشير إلى بعض المعاني الحكميّة، ويستهلّها بمطلع يفيض بالتّقى والإيمان؛ فيبيّن أنّ تقوى الله تعالى خير زادٍ يتزوّد به الإنسان في رحلة الآخرة ويرى أنّ تقواه فضل لا يُقاس بفضل، ويُصرّح بأنّه لا يباشر المرء أمراً إلاّ بإذن الله تعالى، ثمّ يحمد اللهَ الّذي لا شريك له، بيده الخيرُ، وهو ملكوت كلّ شيء، بإذنه يتحرّك الإنسان، فمن تبع تعاليمه النّيّرة اهتدى، ومن خالفها وحاد عنها ضلّ وغوى:

إنّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيرُ نَفَلْ وَبِإذنِ اللهِ رَيثِي وَعَجَلْ
أحمَدُ اللهَ فَلا نِدَّ لَهُ بِيَدَيهِ الخَيرُ مَا شَاءَ فَعَلْ
مَن هَدَاهُ سُبُلَ الخَيرِ اهتَدَى نَاعِمَ البَالِ وَمَن شَاءَ أضَلّ

ثمّ يواصل متحدّثاً عن أهميّة البرّ والإحسان، وضرورة العمل من أجل النّجاح والفوز في الحياة، ويدعو إلى الرّحيل في سبيل الحياة والتطوّر، ويخالف الكسل ويَحُثُّ على الابتعاد عنه، وينصح الإنسانَ بأن يُحدّث نفسه دائماً بالظفر وبلوغ الأمل لا بالفشل والخيبة، وأن يقهرها بالبرّ والإحسان:

فَإذَا جُوزِيتَ قَرضاً فَاجزِه إنّما يجزِي الفَتَى لَيسَ الجَمَل
أعمِلِ العِيسَ عَلَى عِلاّتِهَا إنَّمَا يَنجَحُ أصحَابُ العَمَل
وَإذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَارتَحِل واعصِ مَا يَأمُرُ تَوصِيمُ الكَسَل
وَاكذِبِ النَّفسَ إذا حَدَّثتَهَا إنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزرِي بِالأمَل
غَيرَ أن لا تَكذِبَنهَا إذَا حَدَّثتَهَا واخْزُهَا بِالبَرِّ لله الأجَلّ.

(ديوان لبيد ٨١)

وله قصيدة طويلة عينيّة يرثي فيها أخاه أربد الّذي مات بصاعقة أصابته، قد جمع فيها لبيد بن ربيعة إلى الرّثاء الحكمةَ، والموعظةَ، والتأمّل والزّهد، وقد بدأها بمطلع يؤمن فيه بحتميّة الموت؛ فيتحدّث عن قصر عمر الإنسان وضعفه وسرعة فناءه بالنّسبة إلى الكوائن الأخرى كالجبال والقصور، فإنّ الدّهر ونوائبها كلّ يوم يختطف فتىً، فلا داعيَ للفزع لأنّه لا بدّ منه، ولأنّ المصيبة إذا عمّت سهلت، ثم يشبّه الشاعرُ هذه الدّنيا بالدّيار، والنّاسَ بأهل الدّيار يدخلونها صباحاً ويغادرونها مساءً، فلا يلبثون فيها إلاّ قليلاً، أو كالشهاب الّذي ينطفئ سريعاً وينقلب نوره ونارُه رماداً، ثم يصرّح شاعرنا بأنّ الأموال والأولاد كالودائع، لا بُدَّ من استردادها، فعلى الإنسان أن يغتنم ويستغل هذه النّعم قبل زوالها، ويقوم بالجود والكرم قبل فنائها، ويلتزم البرّ الّذي هو تقوى الله تبارك وتعالى:

بَلِينَا وَ مَا تَبلَى النُّجومُ الطَّوالِعُ
وَتَبقَى الجِبَالُ بَعدَنَا وَالمَصَانِعُ
وَقَد كُنتُ فِي أكنَافِ دارِ مَضَنَّةٍ
فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأربَدَ نَافِعُ
فَلاَ جَزَعٌ إن فَرَّقَ الدَّهرُ بَينَنَا
وَكُلُّ فَتًى يَوماً بِهِ الدَّهرُ فَاجِعُ
وَمَا النَّاسُ إلاّ كَالدِّيَارِ وَ أهلُهَا
بِهَا يَوماً حَلُّوهَا وَغُدُوّاً بَلاقِعُ
وَمَا المَرءُ إلاّ كَالشِّهَابِ وَضَوءِهِ
يَحُورُ رَمَاداً بَعدَ إذ هُوَ سَاطِعُ
وَمَا المَالُ والأهلُونَ إلاّ وَدِيعَةٌ
وَلا بُدَّ يَوماً أن تُرَدَّ الوَدَائِعُ
وَمَا البِرُّ إلاَّ مُضمَرَاتٌ مِنَ التُّقَى
وَمَا المَالُ إلاَّ مُعمَرَاتٌ وَدَائِعُ

ثمّ يُتابع الشاعرُ فيُميِّز بين نوعين من النّاس، بعضهم يبنون لأنفسهم بيوتاً خالدة وآخرون يهدمون بيوتهم، ومنهم أشقياء في الحياة الدّنيا ليس لهم من عيش الدّنيا إلاّ ما يُقيمُ أصلابَهم ومنهم سعداء يتمتّعون بحظوظهم في الدّنيا، وهو يؤكّد على أنّ الإنسان لا يدري ما تخبئه له الأيّام، ويدعو إلى الصبر على المصائب ويُنكر على مَن يجزع لنوائب الدّهر، لأنّه لا مفرّ للإنسان ممّا قضى الله تعالى، ومن هنا ينطلق لِيَشُنّ ثورة مُصعِقةً على أحاديث العائفين والقائفين وتكهُّنات الضاربين بالحصى وتشاؤمات المتحدّثين بعلم الغيب الزاجرين الطّير، ويبيّن أنّ مفاتيح الغيب عند الله وحده، لا يعلمها إلاّ هو: «إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيثَ وَيَعلَمُ مَا فِي الأرحَامِ وَمَا تَدرِي نَفسٌ مَاذَا تكسِبُ غَداً وَمَا تَدرِي نَفسٌ بِأيِّ أرضٍ تَمُوتُ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (لقمان ٣٤):

وَمَا النَّاسُ إلاَّ عَامِلانِ فَعَامِلٌ
يُتَبِّرُ مَا يَبنِي وَآخَرُ رَافِعُ
فَمِنهُم سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ
وَمِنهُم شَقِيٌّ بِالمَعِيشَةِ قَانِعُ
فَلا تَبعَدَن إنَّ المَنِيَّةَ مَوعِدٌ
عَلَيكَ فَدانٍ لِلطُّلُوعِ وَطَالِعُ
أتَجزَعُ مِمَّا أحدَثَ الدَّهرُ بِالفَتَى
وأيُّ كَرِيمٍ لَم تُصِبهُ القَوَارِعُ
لَعَمرُكَ مَا تَدرِي الضَّوَارِبُ بِالحَصَى
وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيرِ مَا اللهُ صَانِعُ
سَلُوهُنَّ إن كَذَّبتُمُونِي مَتَى الفَتَى
يَذُوقُ المَنَايَا أو مَتَى الغَيثُ وَاقِعُ .

(ديوان لبيد ٤٦)

وهكذا نرى كم في هذه القصيدة من حكمة وموعظة، وجزالة ورصانة، وبساطة في اللغة والتركيب، وجمال في اللفظ والمعنى.

المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.
٢-الإصابة في تمييز الصّحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٦ م
٣- الأغاني، أبوالفرج علي بن الحسين الإصفهاني، دار الثّقافة، بيروت، ١٩٨٣ م
٤-تاريخ النقد الأدبيّ عند العرب، مصطفى الغلاييني، دار الثّقافة، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٩٨٣ م
٥-ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حمدو طماس، دارالمعرفة، بيروت، الطّبعة الثّانية، ٢٠٠٥ م
٦ -ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، تحقيق: حمدو طماس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م
٧ - رجال المعلّقات العشر، مصطفى الغلاييني، دارالكوخ، بيروت، ٢٠٠٨ م .
٨- الشّعر والشّعراء، أبومحمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت لبنان، ١٩٩٦ م
٩- طبقات فحول الشّعراء، محمّد بن سلام الجمحي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦ م
١٠- لبيد بن ربيعة العامريّ حياته وشعره، حسن جعفر نورالدّين، دارالكتب العلميّة، بيروت لبنان، الطّبعة الأولى، ١٩٩٠ م
١١-لموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، أبو عبيد الله بن محمّد بن عمران المرزباني، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩ م

المرأة في حضن الإسلام

عبدالمجيد خدادايان

الحمدلله رب العالمين، الذي أرسل الدين المبين رحمة ونجاة للخلق أجمعين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد :

إن أبرز خصيصة لهذا العصر وهذا العالم الذي نعيش فيه التغير، تلك القبولية والاستعداد للتحول والتغير بل الانقلاب، خصيصة تستزيد يوماً فيوماً قوة وسرعة وعمقاً، فلا شك أنها اليوم أقوى وأسرع وأعمق من أمسها، وأنها الغد أقوى وأسرع وأعمق من يومها، فقوّتها تفوق القوى وتهدم أصمد الأراكين وأثبتها وسرعتها تسرع سير ما هو بطيء وعمقها يستأصل أعمق الجذور وأرسخها، ولكن التحول ربما يمكن أن يكون مقبولاً منشوداً مطلوباً، وهذا إذا كان في إطاره وحدوده ومعاييره ولم يخترقها، يمكن أن نذكر بعض تلك المعايير والحدود فنقول: التحول مقبول إذا كان نحو الكمال لا الانحطاط وفي النهاية الزوال، مجال التحول الذي يُسمح له بالجولان فيه ما يقبل التحول، لأن عندنا ما لا يقبل زيادة نقطة واحدة فيه، ما يكون ثبوته أثبت لنا من طلوع الشمس من مشرقها أو غروبها في مغربها، ما يكون وضوحه أوضح من ماء سلسال عذب نقي طاهر يخرج من جوف الجبل، ما يكون سطوعه وإشراقه أوضح من سطوع شمس الصيف وإشراقها في أنقى سماء وأطهرها لا يسترها غمام وغبار، ذلك الذي أذكرها أشياء جميلة منحصرة وكاملة في ذاتها وصفاتها، بلغت في جمالها وكمالها النهاية، لا نهاية ما يتصور، بل نهاية ما يمكن، لأن العقول والأوهام قاصرة عن بلوغ حقيقة جمالها وكمالها، وكمالها وجمالها وانحصاريتها في عدم قبولها التغير، لأن الذي لم نزل نعهده أن كل ما فيه نقص أو قصور يقبل التغير ويحتاج إليه نحو مسيره إلى الكمال، لا ما هو كامل، ثابت، لا يقبل التغير، وجماله وكماله وخصوصيته في هذا ومعه، هذا الذي أتكلم عنه أصول ديننا ومبانيه وأحكامه، فهي في كل عهد وزمان، وفي كل أرض ومكان، منذ ظهورها إلى الآن، ما زالت هي الطريق المستقيم نحو السعادة ولا تزال، فهي كالذي أصدرها ثابتة، خالدة، لا تتغير، قاطعة، ومع ذلك صالحة لكل عصر وزمان ومكان، ومليئة بالاطمئنان وفياضة بالحكمة والأمن والسلام والسعادة والفوز، بل هي السعادة والفوز والحكمة والأمن.

أقول كلما أقول وإني أسمع أصواتاً أخرى، أسمع أصوات من يرى الحرية في الأسر والخلاص في السلاسل، ولا عجب، فإن العصر عصر التغير والانقلاب، وأحد ما وصلت إليه أيدي التغير والانقلاب بل أقول أحسن: التحريف، هو المفاهيم، كمفهوم الحرية.

مع الأسف، إن ما يعين اليوم مفهوم المفاهيم ليس العقل والمنطق والحقيقة والعدل والإنصاف، بل العقل والمنطق ليست لهما وظيفة إلا أن يتمسكا بأذيال كل ما وصلت إليه أيديهما ليصورا عبودية الشهوة والنفس معقولة منطقية، ألف آه وألف حسرة على أن أختي المسلمة جعلت نفسها دون أن تشعر وسيلة لإشباع عيون جائعة نحسة مشؤومة مسمومة، وصارت أسير إطار مصنوع مفروض عليها تُحقن فيه الشعورَ بالحرية حقناً، فهي جاهلة عن تاريخها أيضاً مع العجب، الذي كان فيه نساء الأشراف والملوك مستورات ستراً كاملاً ونساء الطبقة السافلة كاسيات عاريات، فقد كان الستر يعتبر قيمة، والستر كان يساوي القيمة، وكان ضامناً للأمن وحافظاً للشرف وميزانا

للقيمة التي قسمت بين النساء، غير أن نفوساً جبارة ظالمة احتكرتها لها، ولم تكن تسمح لسائر النساء أن يكن كاسيات مستورات ستراً كاملاً، لأنهن كنّ في رأي الملوك والأشراف وسائل لقضاء شهوتهم، فُفرض عليهن هذا السجن القاتم، غير أن عصرنا ليس عصر الظلم والجبر، فذلك الهدف يتم تطبيقه بطريقة أخرى، النتيجة النهائية واحدة، طريقان ينتهيان إلى نهاية واحدة وهي الذل والهوان وأن يصير الهدف ذبيحة أطماع الطامعين، غير أن الذبيحة فرحة مغتبطة فخور في سيرها نحو مذبحها إثر توجيه ساحر مرموز وتشعر بالحرية أيضاً، كفراشة سحرتها ضوء النار وجذبتها، فهي تسرع نحوها مسرعة مرفرفة مجنونة مسحورة، فإقناعها وسد طريقها صعبة جداً، فهي تقول: دعوني، خلوا طريقي، إني حرة مختارة عاقلة، من سمح لكم بأن تسلبوا حريتي، فهي تري وتسمي كل من سد طريقها ظالما قاهراً مستبداً، إن فراشة قصتنا الجميلة المسكينة تظن أنها تسرع نحو آمالها، ولكنها ستفهم أنها خاطئة إذا لا يغني الندم بعد العدم، إذا احترق جناحاها، لم يرد أحد أن يسلبها الضياء، لم يكن إلا النصح، كأنهم أرادوا أن يقولوا لها لو منحتهم فرصة وأصغت إليهم سمعاً: أيتها الفراشة الجميلة الكريمة، الضياء لك، ولكن ليس يستلزم للاستنارة بها أن تقحم جوفها، ولكن الفراشة أعمى، لا لظمة الطريق، بل أعماها وسحرتها ضياءها، هذه حال أختي المسلمة اليوم، فهي لا تحب اليوم إراشادات تحرس لها أمنها وسلامتها وقيماً تجعلها ذات قيمة، هي تريد أن تكون أمة في مسيرها نحو الحرية، وليتها كانت حرية، ليست والله إلا مفهوماً محرفاً مدسوساً مزيفاً ليست فيه رائحتها، حدده الآخرون للحرية وآكلوه أختي، كالذي يريد أن يؤكل سماً لفريسته لأنه يريدها ميتة لا حراك بها ولا خيار، فلا يقول لها: هذا سم، تجرعيها حتى تموتي، بل يفتح لها باب الصداقة ويقول لها ما تشتهي ويلاطف بها ويعطيها ما تتمنى ثم يقول: هذه حلوية طبختها لك، ذوقي منها شيئاً إن أحببتها كليها وإن كرهتها اتركيها، وفيها السم القاتل، وربما لا تشعر إلا إذا لفظت أنفاسها الأخيرة، ولم تبق لها إلا سعادة الآخرة لو أدركتها، إن أختي المسلمة لا تحب أن تبقى في سفينة النجاة، كأنه لم يركبها إلا القليل، وتركها ولم يدخلها أو لم يعرفها الكثير، فهي تحب أن تلقي بنفسها في مستنقع محبوب ممتلئ، فتجد لنفسها فيه مجالاً أوسع وحرية أكثر بزعمها، ولو كان فيه هلاكها.

فلذا نريد أن نرى في هذه المقالة القصيرة ما هي الهدية والتحفة التي جاء بها الإسلام للمرأة؟ الحرية أم الأسر؟ الأمن أو كما كان الهوان؟ إلى أي نحو وجّهها؟ نحو ذرى السعادة أم هوّات الشقاء، جعلها قيّمة نفيسة ثمينة أم سافلة تافهة رخيصة؟ نريد أن نشاهد معاً ماذا كانت حالة المرأة في الحضارات الشهيرة البارزة قبل الإسلام؟ هل كان ظهور الإسلام بلسماً على جراحها ودواء لأدوائها أم لم يزد إلا في نثر الملح على جروح هذه الخليقة الجميلة الطريفة المظلومة الظريفة؟ سنتبين معاً ما هو رأي أبرز شخصية الإسلام فيها؟ ما يقول فيها؟ كيف يعاشرها؟ هل يقدر أن يحدث تغييراً ما في نظر الناس إليها؟ فبالجملة نرى ما هي لهنته لها؟ الحب أم الغضب؟ العشق أم النفرة؟ الرفاقة أم الأسر؟ الحرية أم الحصر؟ الحقارة أم الشرافة والحراسة؟ نرى ماذا يوصي أصحابه بها؟ بل نرى ماذا تحكي النساء عنه؟ عن خلقه؟ هل يحببنه أم يكرهنه؟ نريد أن نتعرض كل هذه القضايا للبحث محايدين، كأننا نتصفح في بضع دقائق بضع صفحات من التاريخ فقط ونلقي عليها نظرة عابرة، هذا جل ما نريد، لعل هذه القضايا تكون

«إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل (جاتهياس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج إيرانيين بالمحرمات، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذ الزواج، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبل أن ينتصر بالمحرمات، ولم يكن هذا الزواج معصية عند الإيرانيين بل كان عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله، ولعل الرحالة الصينية (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله: إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء»

للبعض مسلمة مكررة وفي ذات الوقت يمكن أن تكون للبعض طريفة حديثة جديرة بالاستماع، لعل آراء تتغير وعيوناً مسدودة تُفتح وأفكاراً تنفتح وصدوراً تنشرح وقلوباً تفرح تطمئن، سعي يسير وجهد قصير وعمل صغير ومن الله التأثير والتكبير.

المرأة في الحضارات المختلفة قبل الإسلام

سنلقي في هذا الفصل نظرة عابرة إلى أحوال المرأة في أشهر وأبرز الحضارات المختلفة قبل ظهور الإسلام ليتضح لنا الفرق المفترض قبل الإسلام وبعده.

الإمام الندوي رحمة الله عليه الذي هو من أكبر الدعاة والمفكرين في الإسلام، يعرض لنا في كتابيه القيمين «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وكتابه «السيرة النبوية» صورة كاملة واضحة صادقة عما نحن في البحث عنه. فننطلق لنلتقي بهذين الكتابين ونتعرف بهما ونعرف ما هي حال المرأة قبل ظهور الإسلام في الحضارات المختلفة.

إيران

لم تزل المحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها وأن بهرام جور الذي تملك في القرن السادس كان متزوجاً بأخته.

يقول البروفسور «ارتهر جرستين سين» أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبنهاجن بالدنمارك المتخصص في تاريخ إيران في كتابه «إيران في عهد الساسانيين» :

«إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل (جاتهياس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج إيرانيين بالمحرمات، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذ الزواج، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبل أن ينتصر بالمحرمات، ولم يكن هذا الزواج معصية عند الإيرانيين بل كان عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله، ولعل الرحالة الصينية (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله: إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء».

ظهر ماني في القرن الثالث المسيحي، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد، ثم سارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٧٨م فأعلن أن الناس ولدوا سواء، لا فرق بينهم، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك، وحظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين وصادفت من قلوبهم هوى، فانغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونساءه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه.

ويقول (آرثر كرستنسين):

«كانت النتيجة أن انتشرت ثورات الفلاحين وكان النهابون يدخلون إلى قصور

ظهر ماني في القرن الثالث المسيحي، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد، ثم سارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٧٨م فأعلن أن الناس ولدوا سواء، لا فرق بينهم، يعيشوا سواء لا فرق بينهم،

الأغنياء وينهبون ما يجدون فيها من أموال وأثاث، ويلقون القبض على النساء» (ماذا خسر/ص ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١ والسيرة النبوية صفحة ٣٣، ٣٤ ملخصاً)

الهند

كانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، قد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وكان بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا، وانتشرت عادة إحراق الأيامى نفوسهن على وفاة أزواجهن، خاصة في الطبقات الشريفة والأرستقراطية، إظهاراً للوفاء وفراراً من الشقاء، وتسمى هذه العادة بـ(ستي) ولم تزُل زوالاً كلياً إلا بعد الاحتلال الإنكليزي. كان كهنة المعابد الخونة والفساق الذين يرزؤون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصد فيها الفاسق لطلبته، وينال فيها الفاجر بغيته، إذا كان هذا شأن البيوت التي رفعت للعبادة والدين فما ظن القارئ ببلاط الملوك وقصور الأغنياء، فقد تنافس فيها رجالها في إتيان كل منكر وركوب كل فاحشة، وكان فيها مجالس مختلطة من سادة وسيدات. (ماذا خسر/ ص ١٠٠، ١٠٤ والسيرة النبوية صفحة ٣٦ ملخصاً)

المجتمع الجاهلي

كانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف، وتؤكل حقوقها وتُبْتز أموالها وتُحرم إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً ترضاه وتورث كما يورث المتاع أو الدابة، عن ابن عباس قال: «كان الرجل إذا مات أبوه أو حميّه فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بمالها» وقال عطاء بن أبي رباح: إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم وقال السُدّي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو يُنكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يؤخذ مما تؤتى من مهر وتمسك ضراراً للاعتداء، وتلاقي من بعلها نشوزاً أو إعراضاً وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة، ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.

وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد. ذكر الهيثم بن عدي - على ما حكاه عنه الميداني- أن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة، فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة، فجاء الإسلام، وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد الأولاد فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) تشاؤماً منهم بهذه الصفات، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب فكان يشتريهم من بعض سراة العرب وأشرافهم. قال صعصعة بن ناجية: جاء الإسلام وفديت ثلاثمائة موءودة ومنهم من كان ينذر إذا بلغ بنوه عشرة نحر واحد منهم كما فعل عبدالمطلب، ومنهم يقول: الملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فألحقوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق بهن.

وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات، وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق. ماذا خسر العالم، والسيرة النبوية صفحة ٣٩ - ٤٣ ملخصاً)

ولم يكن الزنى نادراً وكان غير مستنكر استنكاراً شديداً، فكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد، وقد كانوا يُكرهون بعض النساء على الزنا، قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا يأخذون أجورهم. قالت عائشة رضي الله عنها: إن النكاح في

الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه. ويعتزلها زوجها، ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها. فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليالي بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان. تُسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل. ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك. (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من قال: «لا نكاح إلا بولي»

رأينا أن المرأة كيف كانت عرضة لأنواع الإهانة وصنوف التحقير في أبرز الحضارات في العالم، إما كانت في إيران محرومة من السعادة الزوجية أو تنهب من البيت كأسقط متاع، أو لم تُبقِ شهوتهم الجامحة حرمة للمحرمات التي تواضع على تحريمها جميع الأمم المعتدلة، أو في هند التي كان الرجل فيها يخسر زوجته في القمار، وهي أغلى ما يمكن أن يكون له في الدنيا، ثم تحرق الزوجة نفسها لإظهار الوفاء بهذا الرجل الذي يقامر عليها، لأنها تواجه بوفاته من المصائب ما يجعلها تؤثر أن تحترق حية على البقاء والحياة، وأهم ما في الباب، المجتمع الجاهلي العربي، المكان الذي سيبعث فيه آخر نبي، خاتم الأنبياء، فشريعته ختم الشرائع ودينه ختم الأديان، وتعاليمه ختم التعاليم، في نفس الأرض التي كانت المرأة فيها محرومة من الميراث بل كانت تورث كالقدر والأواني والفراش وسائر أثاث البيت، كانوا يئدون بناتهم الصغيرة بأيديهم، يدفن الرجل بنته، تلك الخليقة الجميلة الظريفة الطريفة الضعيفة تحت التراب حية، ولم تمض من عمرها إلا أيام، في نفس الأرض التي كانت المرأة في عرفها وقانونها أسقط وأذل ما يمكن، فما قيمة المرأة التي ينكحها في ليلة واحدة عشرة أو أكثر، وما قيمة المرأة التي ترفع على باب بيتها راية للزنى ولا أحد يستنكر ويعاف ذلك؟؟!! ما هي قيمة المرأة التي يرسلها زوجها ليستبضع من فلان، بأي شيء يحدد ويضبط ظلم هذا المجتمع في حق نساءه؟؟!! بأي ميزان يوزن حيف هذا المجتمع على قيمة نساءه؟؟!!

هل يتصور لشيء أن يغير لا بل يقوم في وجه هذا الجريان الثقيل الهدام الجارف القتال ويقاومه، الجريان الذي أغرق النساء والرجال ويذهب بهم إلا هوة التوحش والبهيمية والانهيار؟؟؟!!! هل يتصور أن يتوقف؟! هل بإمكان أحد أن يوقفه؟! هل للإنسانية التي أسرعت في سيرها نحو الانهيار والدمار نجاة وخلاص؟؟!! ما الذي ينهي ويوقف هذا السيل؟؟!! لا يتصور أن توقفه وتهدمه قنبلات ذرية؟؟!! فلا ملجأ ولا منجا إلا إليه، ولا تتعلق الرجاء إلا برحمته على من خلقه بيديه.

المرأة في رأي النبي صلى الله عليه وسلم

قد رأينا حالة المرأة الأسيفة في الحضارات المختلفة، لا سيما المجتمع العربي الجاهلي، فنريد الآن أن نتبين ما هو شأن النبي مع المرأة، النبي الذي بعث في هذه الفوضى البشرية الفكرية الخُلُقية التي تسوق البشرية لا سيما المرأة إلى شفا جرف هار، إلى وادي الهلاك، إلا إلى هوة السقوط، نريد أن نعلم ما هدية نبي الرحمة الذي يدعي أنه بعث لنصر المظلوم وهداية الظالم، ما هديته للمرأة؟ هل يستطيع أن يجلب رضايتهن أيضاً بعد ما فعل بهن بنو آدم في أرجاء العالم؟ هل يعلو بهن أيضاً إلى ذرى الكمال والسعادة والأمن؟ فنستكشف هذا الأمر من خلال أقواله وحكايات الآخرين عن معاشرته مع النساء والبنات.

الوصية بالإحسان إلى النساء

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء)

خلقه مع ابنته قَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : « مَرْحَبًا بِابْنَتِي «. وَقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ : جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ «. (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرْحَبًا بِابْنَتِي «. ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ - ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا : لِمَ تَبْكِينَ ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ. فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : أَسَرَّ إِلَيَّ « إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي « فَبَكَيْتُ، فَقَالَ : « أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ - أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ - «. فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ. (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)

حبه للنساء

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ «. (مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه)

ما هو خير نعمة في الدنيا؟

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ « (مسند أحمد، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو)

جبريل يقرأ السلام ولكن علي من؟؟!!

عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ «. (صحيح مسلم)

العدل بين الزوجات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا ؛ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ «. (سنن أبي داود)

حسن المعاشرة وملاعبة الأهل

كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ بَاطِلٌ، إِلَّا ثَلَاثًا ؛ رَمْيَهُ عَنْ قَوْسِهِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ «. (مسند أحمد)

النهي عن التماس عثرات الأهل

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا ؛ يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ. (كِتَابٌ : الْإِمَارَةُ، بَابٌ : كَرَاهَةُ الطُّرُوقِ)

فتنة صعبة

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَدَعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ «. (سنن ابن ماجه)

أكمل المؤمنين إيمانا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ (سنن الترمذي)

وفي رواية أخرى: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ « (سنن الترمذي)

هذا خلق النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا. (صحيح مسلم)

إثم من أضاع أهله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مَنْ يَقُوتُ «. (مسند أحمد، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو)

المشاركة في شؤون البيت

عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ : كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ. (مسند أحمد، مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

أفضل الإنفاق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا

؛ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ «. (صحيح مسلم)

لم لا تبتغي الأجر؟

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ «. (صحيح البخاري)

أغرب صدقة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: .....وَفِي بضع أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ «. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ ؛ كَانَ لَهُ أَجْرٌ «. (صحيح مسلم)

الرومانسية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونِي، فَآكُلُ مَعَهُ وَأَنَا عَارِكٌ، وَكَانَ يَأْخُذُ الْعَرْقَ ، فَيُقْسِمُ عَلَيَّ فِيهِ، فَأَعْتَرِقُ مِنْهُ، ثُمَّ أَضَعُهُ فَيَأْخُذُهُ فَيَعْتَرِقُ مِنْهُ، وَيَضَعُ فَمَهُ حَيْثُ وَضَعْتُ فَمِي مِنَ الْعَرْقِ، وَيَدْعُو بِالشَّرَابِ، فَيُقْسِمُ عَلَيَّ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، فَآخُذُهُ فَأَشْرَبُ مِنْهُ، ثُمَّ أَضَعُهُ فَيَأْخُذُهُ فَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَيَضَعُ فَمَهُ حَيْثُ وَضَعْتُ فَمِي مِنَ الْقَدَحِ. (سنن النسائي)

روي في صحيح البخاري أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحَوِّي لصفية وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ. (صحيح البخاري).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ. قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ : « هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ «. (سنن أبي داود)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ : « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ «. قَالَتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ : « مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا «. (سنن أبي داود، أَوْلُ كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابٌ فِي الْغِيبَةِ)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ : « أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ «. قَالَتْ : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ : خَدِيجَةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا «. (صحيح مسلم، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا)

الأنفاس الأخيرة

جاء أوان الرحيل، وقد أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة الله إلى الخلق وللخلق، نصر المظلومين وأعزهم، ونصر الظالمين أي كفهم عن

الظلم، وأهدى للنساء السعادة والقيمة الحقيقية، قال وقوله مطاع في العالمين إنه يحب النساء وأوصى للعالمين بالإحسان إليهن، قال إن المرأة الصالحة أحسن نعمة يمكن أن يكرم بها رجل على سطح الأرض، لم تكن هديته إلى معاصريه وميراثه لمن بعده إلا الحب والحنان والنصح والعاطفة والعفو والصفح والتفاني والتفادي للأسرة، مجمل القول أن لو لخصتُ جهود عمره في كلمة يصير أنه لم يترك ولم يورث إلا السعادة، هو الذي أزال عن العالم الزمهرير القاسي القاتل الذي جمّد كوانين الأسر فأوقدها وملأها بحرارة الحب والإكرام، هو الذي رحّل الخريف الأصفر الأغبر الميت القاتم البارد الضيق وجاء بالربيع الأخضر الحيّ المعتدل العطر وأهداه للعالم، هذا المعلم للأخلاق، هذه الرحمة الشاملة للعالم القاسي، هذا البلسم للجراح العميقة في كيان الأخلاق والعقائد، هذا الترياق للعالم المسموم، هذه الدواء للعالم السقيم قد جاء أوان رحيله وكانت فرصته لنشر التراحم والتعاطف تقترب من نهايتها شيئاً فشيئاً، قد ترك ميراثه وألقى دروسه وربى تلاميذه وبلغ رسالته، وكان يلفظ آخر أنفاسه العطرة المباركة، ولكن أين؟ في أية حالة؟ ما كان اختياره؟ أين وكيف أحب واختار لنفسه أن يتنفس آخر أنفاسه؟ كيف وأين كان يقضي آخر ثوانيه في العالم؟ قد كان آخر أنفاسه بلا أية كلمة ولا أي حرف تؤدي إلينا عالماً من المعاني والدروس، عالماً من الأخلاق والوفاء والإنسانية والعشق، إنه تنفس آخر أنفاسه في حجر زوجته عائشة رضي الله عنها لا ساجداً ولا راكعاً، لقد كان درس دروس السجود والركوع كثيراً ولكن هذا هو آخر درس ألقاه، درس أنساه الشيطان وأمحاه من أدمغة كثير من الساجدين.

نعم يا أختي الكريمة، هذا هو الأسوة والقدوة في الدين الذي يمكن أن تظن إحداكم أنه ظلمها، بالله عليكن يا أخواتي، أي فعل كان بإمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعله في حقكن؟ والله لا أتصور أن يهنأ لأحد أن يدعي أنه أحسن إلى زوجته أو النساء أكثر مما أحسن النبي إلى زوجته والنساء، أو أنه كان لهن أكثر إحساناً أو نصحاً أو إكراماً.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعاً لنعلم ونفهم جميع جوانب خلقه صلى الله عليه وسلم وأن نرى الإسلام كما هو من جميع جوانبه لا من زاوية خاصة ضيقة وأن نلقي إليه نظرة عميقة طويلة عادلة منصفة، لا سطحية عابرة عاجلة جائرة مجحفة، وأن نرى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو رحمة وسعادة وهدية للعالمين.

ومن الله التوفيق.

من تايباد إلى جزيرة قشم

عبدالغفار ميرهادي

بالسفر يتعرف الإنسان على آداب ورسوم الأقوام المختلفة، ويكتسب تجارب جديدة، يعرف مواضع الضعف والقوة في الأمم، ويأخذ دروسا وعبرا، ويتخذ قرارات لنفسه ومجتمعه، ويرى قدرة الله تعالى في مشاهدة الجبال الراسيات والمفاوز المجدبة والغابات الجميلة الخضراء والحيوانات المختلفة، ويشاهد آثار القرون الماضية على أشكال متفاوتة بحيث تخبر الإنسان عن ثقافتهم وطرق معيشتهم، ويلتقي بإخوانه في المناطق الدانية والنائية، ويجالس علمائهم ورجالهم ويتذاكرهم في القضايا والمشكلات الاجتماعية وحلولها، ويزور الجامعات والمدارس والمكتبات، وينتفع من انتاجاتها العلمية، لأجل هذه المنافع العظيمة نقوم من حين لآخر ببعض الأسفار الداخلية والخارجية، في هذه الفترة، اغتنمنا الفرصة وعزمنا السفر إلى جزيرة قشم، ازداد شوقنا إلى الجزيرة بعد وفود بعض الطلبة القشميين على جامعة أنوارالعلوم بخيرآباد في السنوات الأخيرة، بدأنا السفر بالسيارة فى جمادى الآخرة/ ١٤٣٩ق واستغرق أسبوعا كاملا. كنت مرافقا عميد الجامعة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده والأستاذ أمتي والأستاذ شيرمحمدي والأستاذ عاجزي. أخذنا المقصد من مسير زاهدان ـ بم ، قبل وصولنا إلى مدينة قائن انعطفنا يسارا واتجهنا نحو قرية آبغرم، كانت السيارة تمر بنا من منطقة قهستان ديار مؤلف كتاب جامع رموز الرواية شرح مختصر الوقاية العلامة شمس الدين محمد الخراساني القهستاني(م ٩٤١ق) ، كان عالما نحريرا وزاهدا فقيها، يقال ما نسي قط شيئا مما طرق بسمعه، وكتابه هذا من أجل مؤلفاته، حتى وصلنا إلى قرية آبغرم في الساعة العاشرة مساء، إنها من أعمال بيرجند وأكثر أهل السنه في محافظة خراسان الجنوبية متمركز في هذه الناحية.

في القرية مدرسة الإمام أبيالحسن الندوي -رحمه الله-، يرأسها السيد يوسف موسوي، جدير بالذكر أن هذه القرية أهلها كلهم من السادات، نزلنا منزله، بعد تناول العشاء وأداء الصلاة أتينا المدرسة، وبتنا الليلة فيها. يقصدها الطلاب من المناطق المختلفة لحفظ القرآن الكريم فيها، لما دخلنا مسجد المدرسة لصلاة الفجر استرعى انتباهنا منظر جميل، طلاب يحفظون القرآن في حلق مختلفة يديرها أساتذة مجربون لهم دوي كدوي النحل، بعد الصلاة ألقى الأستاذ أمتي بعض النصائح للصلاب، ثم زرنا الأساتذة وبعد قليل تركنا المدرسة وأخذنا طريق زاهدان.

مدينة زاهدان

إن مدينة زاهدان غنية عن التعريف، وهي معروفه بمدارسها الدينيه ومساجدها وعلماءها ومحافلها الدينية، وإن جامعة دارالعلوم مكي كالشمس تنير وتشرق في سماء العلم والتربية، وصلت بركتها وفيوضها وخيرها داخل البلاد وخارجها، وانتفع بها خلق لا يحصى عددهم، وتخرج فيها علماء كثيرون، وهي التي درستُ فيها أعواما، كلما دخلتها وزرتها وجدتها أكثر فعالية ونشاطا من قبل، وأشعر بحياة جديدة وأجد في نفسي عزما جديدا، وإن وراء ما يجري فيها من الأعمال الضخمة والمشاريع المهمة أصحابَ الهمم العالية والفكرة النيرة والنيات الخالصة وذوي الغيرة والحماسة في الدين، وعلى رأسهم شيخ الإسلام مولانا عبدالحميد -حفظه الله تعالى- الذي طار صيته في العالم، مكثنا في الجامعة يوما واستفدت من فضائها العطر. زرنا أكثر الأساتذة وجالسنا بعضهم وتذكرت عهد الدراسة فيها.

محافظة كرمان

غادرنا زاهدان وأخذنا مسيرنا إلى الجزيرة عن طريق محافظة كرمان، اتفقنا أن نقضي شيئا من وقتنا فيها؛ لأنها قديمة، عريقة وفيها عدد لايستهان به من السنة وكنت أترصد فرصة لزيارتها منذ مدة طويلة، إنها تقع في جنوب شرق إيران، وتجاور محافظة خراسان الجنوبية من جهة الشمال، ومن الشرق بلوشستان، ومن الغرب محافظة فارس، ومن الجنوب هرمزجان. إنها أكبر محافظة في إيران مساحة، يبلغ عدد سكانها إلى ٣١٦٤٧١٨ شخصا، وعاصمتها مدينة كرمان، ويبلغ عدد سكانها إلى ٧٣٨٧٢٤ نسمة، وفيهم الترك والبلوش واللر. وأشهر المدن فيها بم، جيرفت، سيرجان، زرند، و.... قطعنا صحراء لوت المجدبة الحارة، فيها منطقة تصل درجة حرارتها إلى ٧٠\٧ وإنها أشد منطقة حرارة في كرة الأرض

فتح كرمان

قام سهيل بن عدي في سنة ٢٣هـ في عهد الخليفة الراشد سيدنا عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بفتح كرمان، وقيل فتحت على يدي عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. حكم عليها ملوك في الأدوار المختلفة من السامانية والديلمية والتيمورية والسلاجقة وقد كانت في أيام السلجوقية والملوك القارونية من أعمر البلدان وأطيبها ينتابها الركبان ويقصدها كل بكر وعوان (معجم البلدان)

رجال كرمان

انجبت كرمان رجالا كثيرين منهم: محمدبن مكرم شعبان الكرماني الحنفي (أبومنصور زين الدين) فقيه، توفي بعد سنة ٩٧٥هـ . من آثاره المسالك في علم المناسك، زلة القراء، المستعذب في شرح مختصر القدوري، (معجم المؤلفين١٢/٤٦) وعبدالرحمن بن محمد بن أميرويه بن محمد بن إبراهيم الكرماني الحنفي ركن الدين أبوالفضل فقيه، ولد بكرمان وتوفي بمرو، من آثاره: شرح الجامع الكبير للشيباني، الإيضاح و التجريد، وكلها في فروع الفقه الحنفي. (معجم المولفين. ٦/١٧٢) ومحمد بن يوسف بن علي الكرماني عالم بالحديث، أصله من كرمان، واشتهر ببغداد، وتصدى لنشر العلم بها ثلاثين سنة، وأقام بمكة مدة وفيها فرغ من تأليف «شرح صحيح البخاري» ولد سنة ٧١٧ وتوفي سنة ٧٨٦. (الأعلام للزركلي)

آثارها

توجد فيها آثار كثيرة، منها:

المسجد الجامع الملك من آثار القرن الخامس الهجري في عهد السلاجقة، ترجع قدمتها إلى ألف سنة تقريبا، طوله ١٠١متر، وعرضه ٩١ متراً. ويقع البرج السلجوقي قرب المسجد. ومسجد الجامع المظفري من آثار سلسلة آل المظفر في القرن الثامن الهجري

أهل السنة في محافظة كرمان

إن أهل السنة فيها متمركز في موضعين: أحدهما نرماشير ولهم أكثر من خمسين مسجدا، والثاني رمشك، وسيأتي الحديث عنها فيما يلي، ويوجد عدد في غيرهما كمدينة منوجان و مدينة كرمان و... ذهبنا إلي منطقة رمشك وهي مجموعة من اثنتي عشرة قرية، يسكن فيها أربعة عشر الف شخص تقريباً من أهل السنة، زرنا إخواننا في قرى مختلفة، وألقى الأساتذة الكرام نصائح وإرشادات في مساجد ومجالس شتى، اغتنمنا الفرصة وذهبنا عند جماعة خرجت للدعوة والتبليغ لأربعين يوما، كان الناس يعيشون حياة بسيطة ساذجة، تحكم المودة والأخوة بينهم، والذي استرعى انتباهنا هو مجموعة من الشباب المعلمين المثقفين حيث يديرون الكتاتيب ويعلمون أولاد المسلمين القرآن وضروريات الدين ويصلون بالناس الصلوات الخمس لقلة العلماء بينهم، وخليق بالذكر أن بعضهم حصلوا على شهادة الدكتوراه في علوم مختلفة، ولا أنسى فضل العلماء الشباب وهم قليلون حيث يقدمون خدمات جليلة للناس في جمعهم وإرشادهم.

بندر عباس

ثم تركنا رمشك وذهبنا إلى بندرعباس عاصمة محافظة هرمزجان، زرنا مدرسة الشيخ الضيائي -رحمه الله-، يرأسها أخوه الشيخ عبدالوهاب الضيائي -حفظه الله-. دخلنا مكتب المدرسة وجلسنا بعض الأساتذة كالشيخ خطيب و مهجور وغيرهم من العلماء.

تبادلنا بعض الموضوعات، ثم شاهدنا مكتبة المدرسة ومسجد الطلاب وصلينا فيه صلاة الظهر، وزرنا بعض الإخوة من تايباد الذين يقيمونها لبعض أشغالهم، ألقى سماحة الشيخ شيرمحمدي خطابا في مسجد الأحناف للناس.

بندرخمير

ثم ذهبنا إلى بندر خمير مركز الجماعة والتبليغ، وعزينا أهل الدعوة إثر وفاة الشيخ محسن أمير الدعوة في تلك المنطقة. إنه رحمه الله كان من الصابرين في أمر الدعوة وتحمل المشاق في سبيلها، ثم ذهبنا إلى المدرسة الدينية لبندرخمير يرأسها الشيخ القتالي، زرنا بعض الأساتذة، ودار الحديث بيننا في مسائل مختلفة.

جزيرة قشم

تركنا بندرخمير إلى الجزيرة بعد صلاة العصر عن طريق بندر بل بسفينة تحمل السيارات والركاب، أدركنا المغرب، أدينا صلاة المغرب في غرفة الملاحين وكانت أولى صلاة أديتها فوق البحر، كنا نشاهد قدرة الله في البحر، إنه آية كبيرة تدل على قدرة الله الباهرة، سخره الله تعالى للإنسان حيث يركب السفن وهي تحمل الأمتعة والناس من بلد إلى بلد آمنين مطمئنين، يقول الله تعالى: والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس....

كان الشيخ عبدالباقي ملائي ينتظرنا في الجزيرة في قريه كوشه، إنه أحد العلماء الناصحين درس في باكستان سنوات، وتخرج في مدارسها، كان صاحب خلق كريم، بشر الوجه، مضيافا، جلنا معه في الجزيرة ورأينا بعض المساجد ومركز الدعوة والتبليغ.

مدينة قشم

ذهبنا إلى مدينة قشم، عاصمة الجزيرة، كان الطالب إسحاق نيك نام بور الدارس في أنوارالعلوم خيرآباد ينتظر قدومنا، وصلنا إليه ليلا، تعشينا عنده، أخذنا أبوه إلى بعض العلماء، تحدثنا معهم وناقشناهم، ثم رجعنا إلى بيته وبتنا الليلة عنده، في الصباح تركنا الجزيرة، وعدنا إلى ديارنا، هكذا انتهى السفر. هذه رحلتي الثانية إلى الجزيرة وكتبت عنها مبسوطا في الأعداد السابقة من المجلة.

مسجد جامع بند ر خمير

(ما هي آراء الإمام الندوي حول تعلم اللغة العربية وتعليمها؟)

دين محمّد محمّد آلق

فقد عرف الناس سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي في مشارق الأرض ومغاربها داعية إلى الله، ومجددا كبيرا، ومفكرا إسلاميا اذ جمع في شخصيته الفذة بين الإيمان الراسخ والعلم الغزير الوافر، وعاش في حياته آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بهمة وعزيمة لاتعرف الخور والفتور.

ومثلما عرفوه داعية ومجدداً ومفكراً فقد عرفوه أديباً عملاقاً في العربية، يبدع في كتاباته ومختاراته وأحاديثه، يحنو على التراث العربي في واحاته النائية، وأديباً أتى في مجال الأدب الإسلامي والعربي بالعجائب والغرائب، عجز عن مثلها نوابغ الأدباء المعاصرين، وأديباً يكتب في أسلوب أدبي رصين في غاية الروعة والجمال، جمع بين بلاغة الأولين وسهولة المتأخرين.

وكل هذا يحس به من يقرأ كتاباته، فيلمس فيها بلاغته العربية وقدرته البيانية، في ألفاظه المنتقاة، وعباراته الرشيقة، بعيدة عن الكُلَف ونقية عن الكَلَف.

ويحس به من يسمع خطاباته في المؤتمرات، وكلماته البليغة في المجالس، لا يتحيف فيها بيانه عجمة، ولا تعترض فيها لسانه عقدة، تخرج من قلبه وتحمل فكرة بطريق مختصر، وتدعمها بشواهد مناسبة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ونوادر الشعر، وطرائف الأقوال وأنفس الأمثال، لتصب في وجدان السامع كلماته فتثير بها عواطفه، وتملأ قلبه فتجيش خواطره. وهذه المقالة تبين آراءه في تعليم اللغة العربية وتعلمها، فسيجدالقارئ فيها آراءه القيمة وأفكاره النفيسة وتوجيهاته السديدة التي وراءها معلوماته الوسيعة وتجاربه العميقة وفراسته العالية وجهوده الحثيثة في الأدب الإسلامي.

(تعليم اللغة العربية وطريقة تدريسها):

يقال في المثل: إن الإنسان يولد مرتين، مرة من رحم أمه، فيخرج من ظلمات الرحم إلى أنوار الدنيا، ويولد مرة أخرى حينما يعرف نفسه بأيدي معلميه، فيخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فإذا كان المولود يتأثر بالوالدين، فيتنصر أو يتهود أو يتمجس لأجلهما، فالتعليم أيضاً يؤثر في الطفل ويوجهه إلى الإسلام أو يصرفه عنه. فلهذا نرىٰ الشيخ الندوي يُعنىٰ بالتعليم والتربية عناية فائقة، ويعدّ التعليم والتربية وسيلة مهمة لأسلمة الجيل الناشئ، إذ قال: (ولم تعد التربية والتعليم غاية في الأمم التي بلغت سن الرشد واستكملت الوعي، وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى، بل أصبحت وسيلة، وبهذه الوسيلة يمكن إعادة الروح الدينية في قلوب الأطفال والشباب المسلمين.

وإن الشيخ الإمام الندوي -رحمه الله- أشغل قريحته وبذل جهوده وشد مئزره منذ عهد مبكر لهذا الغرض، وأتحفنا بمؤلفات قيمة اتخذها كثير من الجامعات والمدارس من العالم الإسلامي في تعليم طلبتهم اللغة العربية.

ومن هذه الكتب:

١-القراءة الراشدة(ثلاثة مجلدات للمرحلة الابتدائية).٢-قصص النبيين للأطفال(للمرحلة الابتدائية) ٣-سيرة خاتم النبيين(للمرحلة المتوسطة)٤-قصص من التاريخ(لطلاب الثانوية)٥-إذا هبت ريح الإيمان(لطلاب الثانوية) ٦-مختارات من أدب العرب(مجلدان للمرحلة المتقدمة).

وله آراء في تعليم اللغة العربية للأبناء الناطقين بغيرها، وقدم مبادئ وأسساً لوضع منهج لتعليم اللغة العربية الإسلامية وآدابها، من المناسب جداً أن نتطرق إلى تجلية هذه المبادئ والأسس في هذا البحث، ونذكر ذلك في نقاط تالية:

١-نقده للمقررات العربية في الهند:

لقد استعرض الشيخ الندوي الأدوار التي مرت عليها مراحل المنهج التعليمي فرآها أربعة، واستخلص أحوال العلماء في الدور الأول بأن الفقه وأصول الفقه كان فيه مقياس الفضيلة كما يعد المنطق والفلسفة مقياس العلم، وكانت دراسة اللغة العربية منحصرة في الصرف والنحو والبلاغة، وأما الدور الثاني، فقُرّر شرح ملا جامي على الكافية لتعليم اللغة العربية، ولم يدخل الجديد في الدور الثالث إلا منهج جديد في دراسة الحديث النبوي الشريف وذلك بعد ظهور الشيخ ولي الله(١١٧٦) وأما الدور الرابع فهو يبدأ من القرن الثاني عشر الهجري، وكان نظام التعليم يسمى (الدرس النظامي) وقد انتقد الشيخ تمسك المدارس العربية الإسلامية الهندية بهذا المنهج الذي قدُم وبلي، كما انتقد المقررات التي حُدّدت لتعليم اللغة العربية في هذا المنهج، لأن فيه عوزاً شنيعاً وتفريطاً عظيماً في ناحية اللغة العربية، فإن الكتب المقررة للغة العربية في ذلك المنهج لا يعلم اللغة ولا يمرّن على الكتابة والخطابة بل الكتب اللمقررة الموجودة في هذا النظام مثل ديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان المتنبي، والسبع المعلقات، لا يحتاجها دارس العربية إلا في مراحل المتقدمة، لأنها تروّض الفكر وتفتح القريحة وتبعث الذوق.

وقد انتقد المقررات العربية في النثر الفني الذي يدرس في المدارس العربية الهندية بقوله:(تجد حلقات التعليم قد رحلت عنها كتب المتقدمين، وحلّ محلها كتب المتأخرين المتكلفين، كأنهم ألّفوها في صناعة الاختزال).

وكانت من ضمن هذه الكتب مقامات الحريري، وهي في نظر الشيخ مثال للنثر الفني والأدب الصناعي، وإذا شئت قلت: مثل لفن البيان والبديع لا النثر العربي الطبيعي السلسال، ولا يمكن أن يتعلم بها الطالب مبادئ اللغة العربية، ويتدرب على الكتابة والخطابة ويقضي حاجة في نفسه.

ورأى الشيخ بعض الكتب في تعليم اللغة العربية التي ألّفها بعض أدباء مصر، فوجدها مليئة بحكايات الحيوانات، ولكنها في رأيه أيضا لا تصلح لتعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين، لأنها حوت فصيحة العبارة، قليلة المغزى، عربية الوضع أفرنجية الروح، إسلامية اللغة، جاهلية السبك.

ورأى الشيخ بعض الكتب في تعليم اللغة العربية التي ألّفها بعض أدباء مصر، فوجدها مليئة بحكايات الحيوانات، ولكنها في رأيه أيضا لا تصلح لتعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين، لأنها حوت فصيحة العبارة، قليلة المغزى، عربية الوضع أفرنجية الروح، إسلامية اللغة جاهلية السبك.

وخلاصة هذه الانتقادات للكتب المقررة، أن هذه الكتب خالية عن الروح الدينية، وبعضها لا تتمثل روح العصر كذلك، والبعض منها ترفض لأنها تحمل المجون والهزل، والأفكار التافهة في طيّاتها.

٢-اقترح الشيخ بوضع المقرر الجديد لتعليم اللغة العربية الإسلامية.

وقد اقترح الشيخ الندوي وضع منهج دراسي إسلامي مستقل، يخص البلاد الإسلامية، فيقول: (إننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي في الروح والوضع، والسبك والترتيب، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية، أو الآداب الإنجليزية من الروح الإيمانية. هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يتفكر بالعقل الإسلامي ويكتب بقلم مسلم وبصيرته، وستكون البلاد إسلامية، إذن هو يدعو إلى أسلمة الكتب المقررة عامة، وكتب تعليم اللغة خاصة، ولا بد من ذلك، ولكن علينا أن نسيّر ركبنا مع تطورات

العصر الحاضر، فينبغي لنا في ذلك أن نستفيد من تجارب الأمم الأخرى، ولكن الاستفادة شيء والتقليد شيء آخر، الأول محمود بل مطلوب، والثاني مذموم.

ووضع المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية ليس أمراً هيناً، إنما يحتاج ذلك اتباع أسس عديدة، منها أسس لغوية وتربوية ونفسية واجتماعية. فقد اقترح الشيخ الندوي أن تُعدّ لغة القرآن هي الأصلح لتعليم اللغة العربية مع صياغته صياغة جديدة بحيث نتبع في ذلك أحدث الأساليب، كما اقترح أن يسود المحتوى في الأسس التربوية الروح الديني، بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه، ويقرر بل يكرر أن يحمل أصحاب التربية والتعليم في نفوسهم قبل كل شيء أن تكون الدوافع الدينية هي أقوى الدوافع لتعليم العربية، فلا بد ألّا ننسى هذه الحقيقة حينما أردنا أن نضع المقررات في تعليم اللغة العربية.

ويقول: لا يرضى المسلم في شبه القارة الهندية أن يجرد اللغة العربية وأدبها من الروح الديني، وإنما يعينه أمر اللغة العربية لأنها لا يتوصل بغيرها إلى منابع الدين ومشاريعه الصافية».

ويقول: لا يرضى المسلم في شبه القارة الهندية أن يجرد اللغة العربية وأدبها من الروح الديني، وإنما يعينه أمر اللغة العربية لأنها لا يتوصل بغيرها إلى منابع الدين ومشاريعه الصافية».

٣- وضع المقرر الدراسي لتعليم اللغة العربية:

كما مر أنه وضع صنفين من المقررات لتعليم اللغة العربية، صنف بوصفه مقرراً دراسياً يقوم بتدريسه معلم في الفصل، وصنف بوصفه مقرراً دراسياً ثانوياً يدرسه الطالب بنفسه، وهو يعد من القراءة الموسعة.

أما يتبع الإمام الندوي في صياغة النصوص الأدبية وهي خلاصة رأيه في التأصيل الإسلامي للغة العربية:

١- أن تكتب باللغة العربية الفصحى، وتكون اللغة لغة أدبية دينية، وتكون عليها مسحة من جمال أدب القرآن والسنة.

٢- تتنوع فيها الموضوعات التي تحتوي على الموضوعات العلمية والأدبية والفنية، وعلى النثر والنظم، حيث يتنشط الطالب، ويتذوق من خلالها فنون الأدب العربي وأساليبه المتنوعة.

٣- أن تشتمل النصوص على العقائد الأساسية (التوحيد والرسالة والمعاد) بشرط ألّا يكون الحديث عنها مباشرا، بل يكون عن طريق عفوية، ولا يشعرون أنه يلقى عليهم ويتلقونه جبراً وقسراً.

٤- أن تلتزم النصوص بما يكره إلى الناشئ الكفر والشرك والمعاصي ويجيب عليهم الإيمان والعقيدة والأخلاق الحسنة والآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة.

٥- أن يسود النصوص الروح الدينية بحيث لا يمكن تجريدها من ذلك الروح، ويعم ذلك في الدروس الدينية، ودروس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية

والنباتية وكذلك الاختراعات الحديثة.

٦-يتحقق في النصوص المرونة اللغوية وذلك باستخدام أحدث الأساليب العصرية في الكتابة، ولا يتقيد بأسلوب قديم مبتور.

٧- يتجنب الكاتب استخدام العجمية والدخيلة قدر الإمكان، ويرجع للكلمات المستحدثة إلى المجتمعات اللغوية تحاشياً عن الاختلافات والفوضى في الكلمات.

٤-طريقة تدريس اللغة العربية:

كانت طريقة النحو والترجمة سائدة في ديار الهند في تعليم اللغة العربية، وما زال لها رواج في معظم المدارس فيها، ولما نيط بالشيخ الندوي التدريس في جامعة دار العلوم، أراد أن يتبع طريقاً أكثر نفعا من طريق النحو والترجمة.

فقد اكتسبته الخبرة عند ما درس اللغة العربية عند الدكتور تقي الدين الهلالي، وصاحب محمد العربي ليلاً ونهاراً، بأن استعمال اللغة الوسيطة في تعليم اللغة الأجنبية خطأ من الأساس، فاتبع هو أول مرة في دار العلوم الطريق المباشر، وقد نجح في ذلك نجاحا ملحوظا، حيث قد وزع الطلابَ للاختبار إلى قسمين، قسم يقوم بتدريسهم الشيخ الندوي باتباع الطريقة المباشرة، وقسم يدرسهم الأستاذ أبو الليث الندوي باتباع طريقة النحو والترجمة، وبعد ما أجرى الامتحان اكتشف أن الجماعة المتبعة الطريقة المباشرة هي الأولى.

إن في اتباع هذه الطريقة يحتاج المدرس إلى أن يكون متقناً العربية ومتمكناً من ناصيتها، لأنه يمثل لطلابه المواقف التي يواجهها الطلاب في حياتهم فيباشرهم ويربطهم بالأشياء التي تدور في تلك المواقف.

ولا تستخدم في هذه الطريقة القواعد النحوية على حدة، وإنما يتم تعليم النحو بأسلوب غير مباشر من خلال التعبيرات والجمل التي يرد ذكرها في الحوار.

والشيخ الندوي على الرغم من اتباعه الطريقة المباشرة فإنه أجاز في وضع مقرر لتعليم اللغة العربية باللغة الأم وذلك في المراحل الابتدائية.

وأما إذا نظرنا في طريقة تناول الكتب المقررة التي ألفها الشيخ الندوي على ضوء الطريقة المباشرة التي فضّلها، وجدنا أن الكتب ناجحة إلى حد ما من حيث تتناول هذه الكتب مواقف عديدة من الحياة، إلا أننا لا نجد فيها التدريبات، فجميع المقررات التي وضعها الشيخ خالية من التدريبات اللغوية، ولا ينكر فضل التدريبات اللغوية المتنوعة في ترسيخ الكلمات، والتراكيب الجديدة، والأساليب المبتكرة في أذهان الطلاب، بل وتعد التدريبات اللغوية من أهم أشكال النشاط التربوي التي تستهدف تثبيت المهارات (الكلام والقراءة والاستماع والكتابة).

الشيخ الندوي يكرر: أن اللغة العربية هي لغة الإسلام ومفتاح كنوز الكتاب والسنة» وأيضاً يقول: الثورة العالمية البناءة التي قام بها الإسلام في الأوائل، لم يتم إلا باستخدام اللغة العربية والأدب سلاحاً في دعوته ونشاطاته، استخداماً لم تستخدمه أي ديانة أو حركة، فقد كان أفضل دعاة الإسلام وأقوى ممثليه، من ملكوا ناصية البيان وبرزوا في الخطابة والكتابة في لغته».

الختام

إن اللغة العربية لغة القرآن والحديث والتراث الإسلامي الضخم، فليس لأحد أن يكون ذا بصر وبصيرة في الدين بدون التمكن من ناصية هذه اللغة، فلهذا نرى الشيخ الندوي يكرر: أن اللغة العربية هي لغة الإسلام ومفتاح كنوز الكتاب والسنة» وأيضاً يقول: الثورة العالمية البناءة التي قام بها الإسلام في الأوائل، لم يتم إلا باستخدام اللغة العربية والأدب سلاحاً في دعوته ونشاطاته، استخداماً لم تستخدمه أي ديانة أو حركة، فقد كان أفضل دعاة الإسلام وأقوى ممثليه، من ملكوا ناصية البيان وبرزوا في الخطابة والكتابة في لغته».

وما أحوج المسلمين اليوم إلى أدباء حاذقين وبارعين، يحملون فكرة إسلامية صحيحة، ويجتهدون لأداء رسالة الإسلام، ويقومون للدفاع عن كيانه بألسنتهم وأقلامهم.

المراجع

-التأصيل الإسلامي للغة العربية وآدابها في جهود الشيخ أبي الحسن الندوي.(محمد عبد السلام آزادي)

-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

-المسلمون في الهند.

-في مسيرة الحياة.

-القراءة الراشدة.

التهـــــــجد

ياسر شجاعى

الحمدلله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: قال تعالى: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (الفرقان ٦٤)

التهجد في اللغة:

مصدر تهجد يتهجد تهجداً، مأخوذ من هجد، يقال: هجد يهجد هجودا، إذا نام. وهجد القوم هجوداً: ناموا وتهجد فلان أي: صلّى بالليل. وهذا اللفظ من الأضداد وهي الكلمات التي تودي معنيين متضادين بلفظ واحد. يقال: تهجد إذا نام وتهجد إذا سهر. وقد فرق الأزهرى بين الهاجد و المتهجد فقال: والمعروف فى كلام العرب أن الهاجد أي النائم، وأما المتهجد: فهو القائم إلى الصلاة من النوم آخر الليل، وكأنه قيل له: متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه كما أنه قيل للعابد: متحنث لالقائه الحنث عن نفسه وهو الإثم.

التهجد في الاصطلاح

هو صلاة التطوع بالليل. وقال الإمام أحمد : قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر، والتهجد ما كان بعد نومه.(١) لا بد لكل إنسان مسلم مؤمن أن يزكي نفسه ويطهّرها من الأدناس الظاهرية والباطنية ولا سبيل إلى تزكيتها وتطهيرها إلا بالتقرب إلى الله تعالى بخالص الأعمال وصالح الطاعات، وأجلُّها وأشرفها التهجد في الليل، وإنّ في الليل لحظاتٍ يشعر فيها الإنسان المؤمن بالأمان والاطمئنان وانشراح الصدر، فيطمئن قلبه بذكر خالقه كالتسبيح والتهليل والاستغفار، فقلبه يطيب ويركن إلى ذكرالله، فتطمئن نفسه بإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره والأمن في جانبه وحماه وتطمئن وترتاح من قلق الوحدة وحيرة الطريق. إن هذا الإطمئنان بذكر الله يشعر به المتهجد بالليل حقيقة عميقة يعرفها الذي خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم واتصلت بالله تعالى. القيام فيالليل يكون دليلاً على إخلاص

العبد وتجرده عن الرياء والتظاهر. السحر أجمل الأوقات قياماً وأفضلها لطلب الغفران من المعاصي والذنوب وأحسنها إجابة.

ذكر بعض الصحابة المتهجدين

منهم: عمربن الخطاب رضي الله عنه، قال ابن‌كثير -رحمه الله- في ترجمته: كان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر. (٢)

و منهم صاحب الحياء والعرفان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عن محمد بن سيرين قال: قالت إمرأة عثمان حين طافوا به يريدون قتله: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن، وعن جدة له يقال لها رهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل هجعة من أوله.(٣)

و منهم شدادبن أوس، عن أسد بن وراعة عن شداد الأنصاري أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على الفراش حتى يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهبت عني النوم فيقوم فيصلي حتى يصبح.(٤)

ذكر بعض التابعين المتهجدين

أويس القرني

عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وكان إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح.(٥)

أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي: روى أبونعيم وغيره أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أكثر من خمسين سنة ولم يكن يضع جنبه إلى الإرض في الليل أبدا وإنما كان ينام لحظة بعد صلاة الظهر وهو جالس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استعينوا على قيام الليل بالقيلولة.(٦)

وفي «معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الائمة الأربعة» لابن حجر الهيثمي قال الشيخ العطار في التذكرة: إن أباحنيفة كان يصلي في كل ليلة ثلاث مئة ركعة ومرّ يوماً على جمع من الصبيان قال بعضهم لبعض: هذا يصلي في كل ليلة ألف ركعة ولا ينام الليل فقال أبوحنيفة: نويت أن أصلي في كل ليلة ألف ركعة وأن لاأنام بالليل .(٧)

مسروق بن الأجدع: قال الذهبي: كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه وحجّ فما نام إلا ساجداً. وعن امرأة مسروق قالت: كان -تعني مسروقا- يصلي

إن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزءاً من كل ليلة ثلث القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر،

حتى تورم قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد من طريق زائدة بن قدامة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن امرأة مسروق بلفظ ما كان مسروق يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة قالت: والله إن كنت لأجلس خلفه أبكي رحمة له.(٨)

ذكر من بعد التابعين من المجتهدين

مسعر بن كدام الهلالي الكوفي

قال محمد بن مسعر: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.(٩)

أحمد بن حنبل

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل كان يصلي أبي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته.(١٠)

الإمام الحافظ وكيع بن الجراح

قال يحيي بن أيوب حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه أن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزءاً من كل ليلة ثلث القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر، قال ابراهيم بن وكيع: كان أبي يصلي فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى جارية لنا سوداء وقال أحمد بن سنان: رأيت وكيعاً إذا قام في الصلوة ليس يتحرك منه شي لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى.(١١)

هذه جملة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، إنهم اجتهدوا في التعبد غاية الاجتهاد وفازوا بأعلى نصيب وصاروا بحيث تنزل بذكرهم الرحمة وتندفع بسماع أخبارهم المصيبة، جعلنا الله ممن اقتدى بهم واهتدى بهديهم وحشرنا معهم إلى الدرجات العلى.

أحسن الوقت استغفاراً

يؤكد علم النفس اليوم على أن الإنسان حين يخسر نفسه بالأمراض النفسيه يكون قد خسر شيئاً في دنياه، فالنفس كالمرآة الصافية فاذا انشرخت تكون قد تشوّهت وذلك لكثرة الذنوب والمعاصي. وخالق النفس سبحانه وتعالى ألطف بها من صاحبها، لذا أخذ تعالى تنبيه الإنسان بدأب أن يجعله حذرا من السقوط في الضلالات المهلكة وجعل له سبيلاً للتخلص من هذه الآثام، قد هيأ له أوقاتاً يغتنمها لتطهير ذنوبه بالاستغفار، قال تعالى: وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون. ذاريات ١٨

إن الإنسان يحتاج واقيات تقيه من المتاعب والأوصاب، ولا واقيات أفضل من أن يخلو الإنسان بربه في ظلمات الليل وقت السحر، يتملقه ويتقرب إليه ويصف قدميه في طاعته ويرتمي ساجداً على أعتابه، فإن الله تعالى لا يرده بل يقبله ويرفعه درجات ويقوي إيمانه وهكذا تتحرر خواطره وتقل الهموم والغموم وتزول آثار الكمد عن القلب والضمير.

فيا أخي إذا حزّنتك الذنوب وأقلقتك المعاصي فاستيقظ وقت السحر واستغفر الله تعالى في هذا الوقت المبارك، انظر إلى وصف الله تعالى للذين يستغفرون ربهم بالأسحار، قال تعالى: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ. آل عمران ١٥-١٧

نعم هذا الوقت من أغلى فرص الحياة للاستغفار والدعاء فيها، وقت فيه يتجلى الباري عزّ وجل في السماء الدنيا فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر.

إن الإنسان يحتاج واقيات تقيه من المتاعب والأوصاب، ولا واقيات أفضل من أن يخلو الإنسان المؤمن بربه في ظلمات الليل وقت السحر، يتملقه ويتقرب إليه ويصف قدميه في طاعته ويرتمي ساجداً على أعتابه، فإن الله تعالى لا يرده بل يقبله ويرفعه درجات ويقوي إيمانه

مكانة قيام الليل ومرتبته

وحسبك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل قيام الليل خاتمة أبواب الخير بعد ذكر أركان الاسلام في الحديث المروي عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: قلت: يارسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير علي من يسره الله عليه، تعبد الله، لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا: وتتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم ذكر بقية الحديث.(١٢)

لذلك كانت صلاة الليل أفضل النوافل التي يتقرب العبد بها إلى ربه زلفى وليكون من أهل الخير ومن أهل القرآن أهل الله وخاصته ففيها التضرع والخشوع وفيها تحمل السهر ونبذ الدثار والنهوض ليقف العبد بين يدي الملك الجبار العزيز الغفار يسبحه ويحمده ويسأله ويدعوه. فيرجو رحمته ويخشى

عذابه ويطلب قربه ورضاه ويستغفره ويتوب إليه يركع ويسجد يتذلل ويتوسل اليه سبحانه. فيكتفه الملك الجليل الرئوف الرحيم فيحيطه بملائكته ويغشيه برحمته وينزل عليه سكينته ويملأه بنوره فيحس بنعيم القربى وحلاوة المغفرة وسعادة الرضوان، كيف لا وقد اطمأن القلب لوعد الملك الحق الذي لا يخلف الميعاد.

اهجر يا أخي وسواس الشيطان عندالقيام، عن أبي هريرة أن رسول الله قال: يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب عند كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان.(١٣) فإذا استيقظت مبكراً وتركت الوسوسة تجد في حياتك اليومية البركة والنشاط في الأعمال اليومية وتجد نفسك بعيداً عن الكلّ والكسل والملّ. فتعالوا نقم من عز نومنا لغايتنا العظيمة ونقف بين يدي مليكنا الجبار الذي لا يزال يحفظنا ويلطف بنا ويرحمنا على ظلم أنفسنا.

فشُدّ العزم يا أخي وتوكل على الله ،فإن دقائق الليل غالية فلا ترخصها بالغفلة، فإذا تهجدت وتضرعت وألححت أمام مالك يوم الدين العزيز الجبار تحس لذة لا تعادلها لذة.

يا رجال الليل جُدّوا

رب صوت لا يرد

ما يقوم الليل إلا

من له عزم وجدّ.

المنابع:

١- التهجد و قيام الليل. ص٣٨

٢- البداية و النهاية.ج٧ص١٣٧

٣- حلية الأولياء. ١/٥٦

٤- مصدر السابق ٢/٨٧

٥- مصدر السابق

٦- شعب الايمان ص ١٧١٠.ج٤ش ٤٧٤١

٧- التهجد و قيام الليل ص١٢٧.

٨- الزهد لابن المبارك ص٣٢-٣١.

٩- تهذيب التهذيب. ١٠/١١٥.

١٠- مناقب الامام احمد بن الجزري ص٣٨.

١١- صلاح الامة في علو الهمة ص٤١٥

١٢- ترمذي٢٦١٦. ١٣- صحيح البخاري ١١٤٢

من لبورما وصراخها؟

عبدالحميد أميري

الحمدلله الذى نصر الحق وأهله وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده والصلوة والسلام على من جُعِل رزقه تحت ظل رمحه، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزّروه ونصروه وحملوا رايات الجهاد والحرية الإسلامية إلى أنحاء العالم، وأخرجوا الإنسانية من ربقة الهوى والشهوات. أما بعد: قال الله جل ذكره: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

وروى الشيخان عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال: أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.

اليوم نرى مشاهد الأمة المؤلمة، المؤمنون في حزن وتألم لما يجري في العالم الاسلامي، لما يجري في شعب بورما، تكاد القلوب تتقطع ألماً وأسفاً لأن المسلمين في بورما يعيشون في الذل، لأن هناك دماءً تهراق، هناك صراخ الأطفال والنساء وهناك وجوه اسودت أسفاً وحزناً؛ هناك أعين ابيضت ألماً وبكاء، هناك ظهور تكسرت وانحنت ثقلاً، هناك أعراض انتهكت قساوةٍ وظلماً، هناك نساء عفيفات اغتصبن فجوراً وتعدياً، هناك مساجد هُدّمت كفراً وفسوقاً، هناك قادسية ولا سعد لها، هناك يرموك ولا خالد لها، هناك حطين ولا صلاح لها، يا لله للمسلمين، إخواننا في بورما وهم آلاف مؤلفة يعانون مشاكل عديدة وخطوباً جسيمة لا تطيقها الجبال، أصيبوا بذل وخزي وعار، هناك حقيقة مؤلمة تدك القلوب دكاً، إنها حقيقة لا بد أن يعرفها كل مسلم يعيش على هذه الكرة الأرضية، هي حقيقة سجلها التاريخ ويسجلها الآن بنصها وفصها، ما هي تلك الحقيقة؟ الحقيقة أننا كنا أمة ترعى الغنم، فجاء الإسلام وجعلنا أمة ترعى الأمم وعندما ابتعدنا عن الإسلام صرنا أغناما ترعانا الأمم. قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). نعم، (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

ولكن رغم هذه الأزمات لا بد للأمة الإسلامية أن لا تقنط من رحمة الله. قال الله تعالى: (لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). يقول العائض القرني في كتابه المسمى بمقامات القرني: إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اشتد الحبل انقطع وإذا اشتد الظلام بدا الفجر وسطع. سنة ماضية وحكمة قاضية.

فلا تجزع إذا حملت هما يقطع النفسا فأقرب ما يكون العبد من فرج إذا يئسا.

نعم من أتقن الصبر هانت عليه مستحيلات الحياة. قال الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

ولكن لا يرقى المسلمون ولا يتذوقون طعم العزّ والمجد إلّا بهمة شامخة، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: كمال الإنسان بهمة تُرقيه وعلم يُبَصِّره ويهديه وأيضا قال الشاعر حول الفرج بعد الشدة:

اليوم نرى مشاهد الأمة الإسلامية المؤلمة، المؤمنون في حزن وتألم لما يجري في العالم الاسلامي، لما يجري في شعب بورما

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا
فأضيق الأمر أدناه الى الفرج.

لا تنشأ يقظة عن غفلة

إن تاريخ الأمم والشعوب التي لعبت دوراً هاماً في حياة البشرية وهيمنت على العالم مليءٌ بالحوادث، كلما انتبه شعب وانتهز الفرصَ واستعمل جميع الأشياء للوصول إلى هدفه المنشود الذي تتقطع دونه الأعناق استطاع أن يبلغ إلى ما يريده من العز والمجد والسلطة والحكومة، ولو كان بعد فترة طويلة، انظر إلى مكة المكرمة وأهلها قبل أن يبعث فيها الرسول الأعظم كان أهلها في انحطاط وظلم وقساوة وجاهلية عمياء، ها هو سيدنا جعفر رضي الله عنه وهو من عاش سنوات كثيرة في مكة ورأى أهلها وما يفعلون وما اعتادوه، عاش بينهم وقَتَل الأيامَ تَجرِبةً وخِبرةً في العصر الجاهلي، فهو واحد منهم، انظر كيف يصف ما كان جارياً في مكة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، يقول تلك الكلمات أمام ملِك الحبشة فانظر إلى كلماته واقرأها قراءة تدبر وتَصوَّرْ الجاهلية المهيمنة على مكة وأهلها. وإليك كلماته رضي الله عنه: أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله؛ لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. يقول العلامة الندوي رحمه الله: إن القرن السادس المسيحي الذي كانت فيه البعثة المحمدية وما يليه من فترة زمنية كان من أحط أدوار التاريخ ومن أشدها ظلاماً ويأساً من مستقبل الإنسانية وصلاحيتها للبقاء والازدهار، ولو رحتُ أستقصي كل ما كان في ذلك العصر لطال الكلام وضاق المقام. فالنبي صلى الله عليه وسلم بُعث بين هولاء الرجال الذين انحطوا إلى أسفل دركات الحياة، ولكن رغم هذه المشاكل كلها قام بهمة عالية وجهاد مستمر وكفاح دائم يربّي رجالاً لو أرادوا أن يقلعوا الجبال لقلعوها ولو أقسموا على الله لأبرّهم، وهذا لا ينشأ عن غفلة وخمود، بل ينشأ عن يقظة وهمة جبارة. الصحابة رضي الله عنهم أجمعين رجال جائتهم دعوة الاسلام، فآمنوا بها وجاهدوا بأموالهم ودماءهم في سبيلها، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس. يقول العلامة الندوي رحمه الله: لا تنشأ يقظة عن غفلة، ولا نهضة عن جمود وخمود، ولا حياة من موت، ولا انتباه وانتعاش من قساوة وفتور، فكل ما حصّله الصحابة لم يكن إلا من وراء همة عالية ونية صادقة ودور الكتاب والسنة في حياتهم لا يخفى على أحد.

المؤمنون كرجل واحد

تصور ساعة أصبت فيها بكارثة عظيمة، أقول على سبيل المثال، كنت راكبا دراجة نارية تسوقها إلى هدف مع إخوتك و تسيرون بأقصى سرعة، فإذا بك تنحرف إلى حفرة فتضطرب دراجتك وتسقط على الارض واخوتك يرونك، فلا يقفون كانهم لا يعرفونك وأنت خررت على الأرض أو وقعت في الحفرة وقد انكسرت رجلاك أو يداك لا قدر الله ذلك، أو سال الدم على جلدك وتنادي إخوتك: يا إخوان! تناديهم بأسمائهم فلا يجيبونك، كأن لم تكن بينك وبينهم أخوة، فكل يسوق دراجته في فرح وسرور وأنت ترى الموت بأعينك وتصرخ ألما وتبكي للجفاء، فقل لي بالله عليك: ما هي أحاسيسك؟ وبم تشعر في ذلك الحين؟ قل لي: كيف تكون إذا ذهب إخوتك وتركوك وحيداً، طريداً، لا تقدر أن تتحرك وانقضى النهار وأرخى الليل سدوله واشتد الظلام وأنت في تلك الحالة تتقلب في الدم؟ إخوة ظالمون، جاهلون، ظلام شديد، عطش مميت، جوع قاتل، ذئاب مفترسة، أعضاء منكسرة، وليزداد الحزن والكرب لو أضيف إلى ذلك كله برد مهلك، هذه الحالة مما لا يُتصور، ولكن لو حدثت تلك الحادثة فهل يغفر ذلك المرءُ إخوته الذين هجروه في تلك الحالة؟ الجواب واضح بالقطع واليقين: لا. فالآن نرجع إلى أنفسنا وإلى إخواننا في بورما وإلى إخواننا في الشام وإلى إخواننا في القدس و... قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). أين الأخوة التي بينها الله تعالى في كتابه الخالد؟! إن المسلمين في كارثة عظيمة، هولاء الذين يعيشون في بورما ما ذاقوا لذة الحياة وحرموا كل الحقوق، البوذيون الفجار هم ذئاب مفترسة، لا يعرفون إلا القتل، هل مات الشعور في أتباع محمد أم ما عرفوا واجبهم؟ نعيش نحن المسلمون في رخاء وأمن وسلامة وعافية وهناك في بورما أنهار من الدم، يُصلّون كل

يوم ست مرات. إن تعجب فعجب أمرنا. أجَل أضف إلى الصلوات المكتوبة صلاة الجنازة في كل يوم. عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، ومن لم يتق الله فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم. وفي هذا ذكر لمن كان في قلبه إيمان وإسلام، لمن كان له عقل ودراية، لمن كان مومنا بالله، متبعا لنبيه، لـ(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ). عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلمون كرجل واحد؛ إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله. ما ظنك في أمة يكون السيف في أيدي جبناءها والمال في أيدي لصوصها والقلم في أيدي منافقيها؟ إن تلكم الأمة ستنحط إلى أسفل السافلين. فلا حياة لها ولا عز لها وإنها لن تكون كرجل واحد. كيف وقد يرى بعضها بعضا في قمة الذل والانحطاط، فلا تقشعر جلودهم ولا تقلق نفوسهم، ولا تتحرك ضمائرهم.

عجباً من أمرنا!

هناك جنود مجندة، مدججة بالسلاح، إسلامية، في بلاد مسلمة، يرأسها مسلم على الحكم الظاهر، فلا يهمه أمر المسلمين ولايغني عنهم شيئا، وهو حاكم يدعي الإسلام ويحكم. وهذه حقيقة لا يحتاج إلى تفسير وتبيين. انظر إلى الحكومات الإسلامية وتأمل حياة حكامنا وانظر إلى ثروتهم. تصور لو أحيا الله النبي صلى الله عليه وسلم فدخل بيت ملك المملكة السعودية، ماذا سيقول؟ تصور لو رأى أحوال المسلمين في بورما هل يسكن لمحة؟ هل تعرف عواطفه لو رأى أمته التي تركها على محجة بيضاء قد تفرقت وانشعبت كل الانشعاب؟ فلنرجع جميعا إلى الله تبارك وتعالى ولنتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فالله تعالى قادر على أن ياتي بنصر من عنده، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

رسالة الى العواهل المسلمين

رسالتي هذه أوجهها إلى الحكام المسلمين الذين ملّكهم الله تعالى في ملكه زمانا، مهما يسيرا كان أو طويلا، إلى الله مرجعنا جميعا، فنُجزى بما عملنا، قال الله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)

إن الله تعالى قد امتحن عباده بالفقر وقد يبتليهم بالغنى، فينظر كيف يعملون، وهناك أمانة ثقيلة يجعلها على من شاء وهي السلطة، فالمهم أن ينتفع المسلمون بمن ولي أمرهم، وعلى الحكام أن يتفكروا في مصالح المسلمين وأن لا يتفكروا في شعبهم فحسب، فكلنا من آدم وآدم من تراب، قلت فيما سبق: إن المسلم يهمه أمر المسلمين ولا يغفل عما يجري حوله وما يعانيه المسلمون من المشاكل، يجب على من وُلّيَ أمر المسلمين أن يوسع فكره ويحرك شعوره ويتفكر ليحيي الإسلام في كل شعب ويخلص جميع المسلمين في العالم من ظلم الظالمين. إنه جاء ليعمر ويوجد ويغرس. إن لحكام البلاد الإسلامية دوراً هاماً في تنمية شعبهم وهم الذين يقدرون على أن يأتوا بحياة فيه النصرة والكرامة والأخوة والصلاح والرشد، أو أن يفسدوا في الأرض ويستضعفوا أهلها ويدمروا ويقتلوا. قال الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). هذا خطاب عام لجميع الناس لا يُستثنى منه أحد، فالأنبياء والأولياء والأمراء كلهم فقراء إلى الله تبارك وتعالى. فلا يغرنك ملكك أيها الملك! إن أزمة بورما أزمة كبيرة والأمة الإسلامية تحتاج إلى رجال أقوياء لحل تلك الأزمة، فأنت أيها الملك العب دورك الهام قبل أن يشهد لك التاريخ بالكسالة والرغبة في الشهوات والملاهي، قبل أن تفوتك هذه الفرصة! لا تغتر بقدرتك واستعمل كل ما تملك في سبيل فلاحك الأبدي! هناك إخوانك في بورما يُقتلون فلا يرون احداً يكشف عنهم كربة، قد ورد في الحديث: من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، انظر إلى إخوانك في بورما! أتظن أنك لست بمسئول أمام الله. أتظن أن القدرة تدوم سرمداً إلى يوم القيامة. اعلم أيها العاهل أنك تسئل يوم القيامة! تسئل عن دماء تهراق في بورما وأنت تدعي الإسلام، تتقلب فيالنعم والطرف، تاكل وتشرب، تعيش بلا همّ وهناك إخوة يُشربون الموت، ماذا ستقول أمام ربك إذا سألك لماذا لم تنصر إخوانك؟ أولم أعطك الملك والقدرة؟ أولم أمكّنك في الارض؟ ماذا تجيب ربك جل وعلا يوم القيامة؟

عن أبيهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقبض الله الأرض يوم القيامة

ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك! أين ملوك الأرض؟ فهل تقدرون أن تنبسوا هناك بكلمة؟ فإخوانكم ينتظرونكم، ينتظرون نصركم أيها الحكام ففرجوا عنهم كربتهم واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف! فقوموا جميعا لنصرة إخوانكم في بورما قبل أن يأتي يوم تُلعَنون فيه بسبب تغافلكم وركونكم إلى الدنيا! فإنكم أيها الملوك المسلمون لو تقاعدتم فليأتين ذلك اليوم بلا ريب.

إن الله منجز وعده

لقد ذكر الله تبارك وتعالى في آياته الجليلة أقواماً جائتها رسلها فظلمت فأخذها الله. انظر إلى فرعون كيف أمر بذبح أبناء بني إسرائيل! هنا ندع المجال للآيات القرآنية التي تصور ظلم فرعون وكيف استضعف بني إسرائيل. قال الله جل شأنه في صورة القصص: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ). وقال جل شأنه في سورة زخرف: (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) وانظر كيف يكذّب نبيَّ الله موسى ويدعي الربوبية. قال تبارك وتعالى في سورة النازعات:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ) وقد ذكرت هذه القصة في القرآن أكثر من مرة، تفكر في شأن هذا الرجل الذي بلغ هذا المبلغ العظيم، يدعي الربوبية ويقتل ويذبح ويقطع الأيدى والأرجل ويستضعف ويستعبد ويظلم شعبه و لا يرى فوقه أحدا و يفعل ما يشاء - إن صح هذا التعبير- ولكن الله تعالى وعد عباده أن يستخلفهم فىالإرض قال الله تبارك و تعالى في سورة القصص: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) إن الله تعالى هو القادر المطلق فى الكون كله فانظر كيف أغرق فرعون ونجّى بني إسرائيل وما أحسن قوله تعالى عند ما يصف ذلك المشهد وما أروعه قال الله تعالى في سورة يونس: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) فأهلك الله تبارك وتعالى فرعون وجنوده وجعلهم عبرة لمن كان له عقل، هذا خزي في الدنيا وفي الآخرة نار وعذاب ودمار. قال الله تعالى فب سورة غافر: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) وهكذا أنجز الله وعده وأهلك الظلمة، قال الله تعالى في سورة الأعراف: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: إن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. هذا هو الظلم، فإن مرتعه وخيم ولا يفلح الظالم مهما علا أمره.

فيا إخوة العقيدة والدين، يا مسلمي بورما، اصبروا وما صبركم إلا بالله. نعم ماتت القلوب فلا ترون ناصراً ولا من يأخذ بأيديكم ولكن الله تبارك وتعالى يرى كل شيء والخلق عياله ولا يدع الظالم يرتع ويتمتع، لا تحزنوا فالبوذيون قاتلهم الله سيجزون عن قريب كما جوزي فرعون وجنوده وأنت أيها الخائن الذي تحكم على شعب بورما وقد قُتل في ملكك آلاف من المسلمين، الآن تظلم وغداً تُجزى، سيأتي إليك أبناء خالد ويقذفونك في مزبلة التاريخ، اعلم أيها الفاجر الكافر الظالم! المُلك قد يدوم مع الكفر ولن يدوم مع الظلم، واعلم أيضاً ربما بالظلم تستطيع أن تملك كل ما تريد ولكن بدعوة مظلوم تفقد كل ما ملكت.

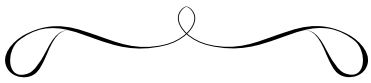

نعم ماتت القلوب فلا ترون ناصراً ولا من يأخذ بأيديكم ولكن الله تبارك وتعالى يرى كل شيء والخلق عياله ولا يدع الظالم يرتع ويتمتع، لا تحزنوا فالبوذيون قاتلهم الله سيجزون عن قريب كما جوزي فرعون وجنوده

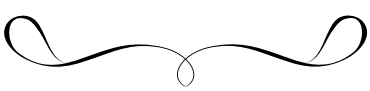

أخيراً إلى الأمة الإسلامية

ورسالتي الأخيرة أوجهها إلى جميع الأمة الإسلامية الراقدة، لقد سجل التاريخ عار بورما. لقد سجل الذل والخزي الذي أصاب المسلمين في بورما وفي الشام وفي فلسطين وغيرها من البلاد. اعلموا أن كل من يدعى الإسلام ولايهمه أمر المسلمين فقد خان الله ورسوله والمسلمين، والله لا يحب الخائنين. كيف تلقَونَ ربكم وقد ركنتم إلى الدنيا وتركتم الإسلام وراءكم ظهرياً. يا أمة الإسلام! أما آن الأوان لنرفع عنا الخزي والعار؟ أما قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ). فما هذا الهوان؟ وقد أصبحنا لا تجفّ لنا عين، إلى متى هذا الرقود؟ إلى متى نغرق في النوم ونشخر؟ فلا نامت أعين الجبناء. إن القرآن هو مصدر كل خير ولكنه هُجر، والسنة خير هدي ولكنها تركت والجهاد ذروة سنام الإسلام ولكن تركناه، ولا يكره الجهادَ إلا منافقٌ ولا خير في أمة تركت الجهاد، فإنها ستذل وتكون كالماشية ليس لها حام ولا راع، والذئاب تأتيها من كل حدب وصوب.

يا أمة الإسلام! إن اليهود والنصارى يبذلون كل ما يملكون ليمحوا الحق ويطفئوه، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ). قوموا وجاهدوا الكفر والطاغوت، فقد طال الليل، وكثرت الآمال، وأدمعت العيون، وتقطعت قلوب إخواننا وأبناءنا وأخواتنا، وهنا أذكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ويقيم به بطلاً ويحقق ما نتمناه بإذنه تعالى وليعذبَ بأيدينا الكفار ويخزيَهم ويشفي صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم، قال عليه الصلاة والسلام: يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. وما علينا إلا البلاغ المبين.

التعريف بكتاب دراسات في أصول الحديث على منهج الحنفية

عبدالغفار ميرهادي

تخرج الأستاذ عبدالمجيد توماج التركماني -حفظه الله- من دار العلوم بكراتشي، ودرس التخصص في الحديث وأصوله في الجامعة الإسلامية بنوري طاون بكراتشي، لزم العلامة الدكتور عبد الحليم النعماني -حفظه الله- رئيس قسم التخصص في الحديث، وكتب رسالته «دراسات في أصول الحديث على منهج الحنفية» تحت إشرافه، فجاء كتابه من أحسن الكتب المؤلفة في الموضوع، وملأ فراغاً هائلاً، وطبع من بيروت، تربو صفحاته على ٧٠٠صفحة، ثم لخصه وسماه «المدخل في أصول الحديث على منهج الحنفية» وسيكون له شأن في الأوساط العلمية دراسة وقراءة.

المتداول في المدارس الدينية تدريس شرح نخبة الفكر للحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- في فن أصول الحديث وهو كتاب نافع ونال حظاً وافراً من القبول عند العلماء والمدارس، لكنه على أصول المذهب الشافعي وعلى طريقة المحدثين، ولا يخفى أن هناك أصولاً تختلف للحنفية المحدثين، وإنما تظهر نتيجة الاختلاف في المسائل الفقهية، وكانت هذه الأصول مبعثرة في كتب المتقدمين كالأئمة الثلاثة والإمام البزدوي والدبوسي والجصاص وغيرهم من الأئمة الكرام، كانت الحاجةُ ماسةً في تدوين كتاب على منهج الحنفية -لاسيما في العصر الحديث- فقام لهذه المهمة فضيلة الأستاذ عبدالمجيد توماج التركماني خير قيام وألف كتابه هذا.

يقول الكاتب في مقدمة الكتاب: «مما يجب أن يُتنبه له هنا هو أن هذه الرسالة ليست كعامة كتب أصول الحديث، تجمع المباحث التي ورد في هذه الكتب بكاملها، فعامة كتب أصول الحديث تشتمل على نوعين من المباحث:

الأول: المباحث التي ليست لها أثر في الاستنباط والاستخراج، كرواية الآباء عن الأبناء، ورواية المدبّج، وتاريخ مواليد الرواة ووفياتهم وما إلى ذلك، وهي غير قليلة في كتب المصطلح.

الثاني: المباحث التي لها دخل في الاستنباط، وتتفرع عليها الأحكام وتتغير بتغيرها.

فدراسة النوع الأول والنظر فيه من وظيفة كل محدث وراوية، فلا يختلف فيه حنفي ولاشافعي ولاحنبلي من حيث هو هو، نعم! خالف فيه البعض عن رأيه الخاص لا عن كونه منتسباً إلى مذهب من المذاهب، فهذا النوع ليس مما يهمني في هذه الرسالة.

وأما دراسة النوع الثاني والنظر فيه هو الذي يهمني، فهو من وظيفة الأصوليين والفقهاء، وكلّ من له صلة بالحديث، وقد اختلفت فيه أقوال الفقهاء وتضاربت فيه مذاهب الأصوليين، فعقدوا له (باب السنة) في كتب أصول الفقه، وأشبعوا الكلام هناك».(ص:٣)

جعل الباحث كتابه على مقدمة وتمهيد وسبعة أبواب، الباب التمهيدي يتضمن ثلاثة مباحث:

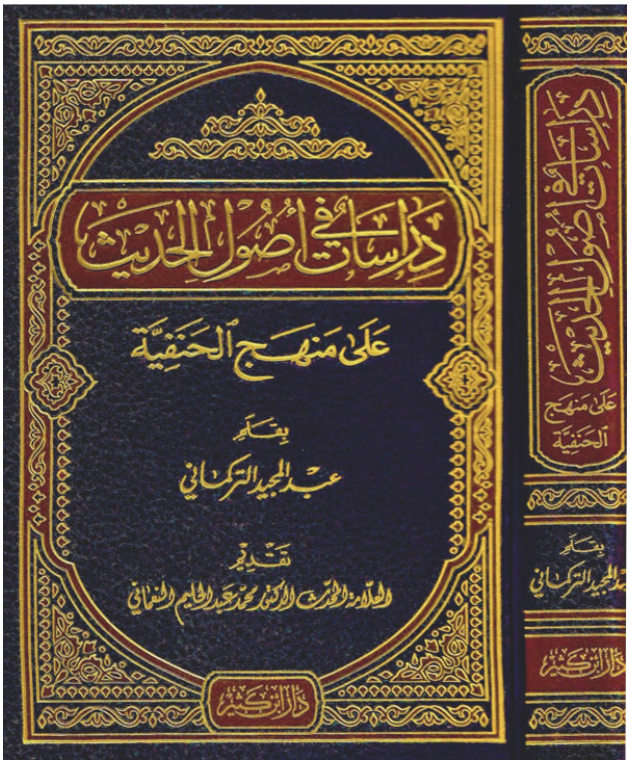

الأول: نصوص التأصيل لأئمة الحنفية المتقدمين
الثاني: أصحاب الكتب(من الحنفية) في الأصول
الثالث: الإمام القدوري وكتابه التجريد وذكر من خصّ من أئمة الحنفية أصول الحديث بتصنيف.
الباب الأول: في تقسيم الأخبار إلى المتواتر والمشهور والآحاد. وأطنب فيها.
الباب الثاني: في تعارض الخبر والقياس وبحث فيه عن تقديم أو تأخير الخبر على القياس (عندالحنفية) بالتفصيل.
الباب الثالث: في الانقطاع، وتحدث فيه عن الانقطاع في الباطن وهو أن يخالف خبر الواحد كتاب الله، وسنة رسوله الثابتة وغير ذلك، الذي يعبر عنه الأصوليون بـ»شرائط قبول أخبار الآحاد» والانقطاع في الظاهر وهو الإرسال وتعريف المرسل عند الحنفية وشرطه وحكمه وحجيته و...
الباب الرابع: طرق التحمل والأداء.
الباب الخامس: أقوال الصحابة -رضي الله عنهم-
الباب السادس: الجرح والتعديل
الباب السابع: التعارض والترجيح بين الأخبار.
يقول العلامة عبدالحليم النعماني المشرف للرسالة في تقريظه عليها: الأبواب السبعة كلها ذات أهمية، وقد عالجها الكاتب بحسن وإتقان، إلا أن منها ما يفوق أهمية، منها: باب تعارض الخبر والقياس، وقد تفحص الكاتب كتب الحنفية وسبرها، ونقدها وأثبت أن خبر الواحد مقدم عند الحنفية على القياس، وأن فقه الراوي ليس بشرط في قبول خبر الواحد. وكذلك باب الانقطاع، وكانت هذه المسألة بحاجة إلى التحقيق والبحث، فأطال الكاتب فيها النفَس، وأجاد وأحسن، ولم يترك جانباً منها إلا أشبع فيه الكلام. على أن كل مبحث من هذا الكتاب جميل متقن. ولا شك أن الكتاب -ككاتب مستقل في أصول حديث الحنفية- يمثل اللبنة الأولى في هذا الباب وأن مجال الفحص والتحقيق مفتوح على مصراعيه.

الأستاذ عبدالمجيد التركماني وتدريسه الكتاب في جامعة أنوار العلوم خيرآباد

دعت الجامعة المؤلف لتدريس كتابَي شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- وكتابه المدخل في أصول الحديث على منهج الحنفية لعشرين يوماً في الإجازة الصيفية، ابتدأت هذه الدورة من ١٦ذي القعدة وانتهت في الثاني من ذي الحجة، كان الأستاذ يقارن بين مذهب الحنفية والمحدثين، ويركّز على موقف الحنفية في الخلافات. حضر عدد من العلماء من ضواحي خيرآباد والطلاب الدورةَ، ولا شك في أنهم استفادوا كثيراً.
العلامة عبدالحليم النعماني حفظه الله برواية تلميذه طلبت من الأستاذ في اليوم الأخير من هذه الدورة أن يتحدث عن العلامة عبدالحليم النعماني -حفظه الله- فقال: ولد الأستاذ سنة ١٣٤٧ق وهو الآن في ٩٢ من عمره، حنفي المذهب، وجشتي الطريقة وكان شيخه في الطريقة الشيخ نفيس شاه الحسيني -رحمه الله- من أخص تلامذة شيخ الإسلام حسين أحمد المدني -رحمه الله- إنه شديد التأثر منه، مولع به. ثم أردف قائلاً: كلّما يأتي ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يملك عينيه وهما تسحان الدموع سحّاً. كان متأثراً من أخيه الأكبر العلامة عبدالرشيد النعماني صاحب كتاب مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث، وكتاب الإمام ابن ماجة وكتابه السنن، وكذلك متأثراً بالعلامة عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله صاحب التأليفات الكثيرة والتعليقات النافعة، ويحب الشيخ العلامة المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله.

معاملته الطيبة

قد دعاني غير مرة إلى بيته، وقد أراني كثيراً من كتبه ورسائله، وكان معلماً ومربياً ناجحاً، كان يبذل حنانه وودّه وشفقته عليّ، ولم يكن يألو جهداً في تربية الطلاب.

تخصصه

العلامة النعماني حفظه الله متخصص في معرفة الكتب والرجال، وإليه المنتهىٰ في ذلك، وله مهارة في معرفة الأسماء وضبطها والكنىٰ، أخذ شهادة الدكتوراه في موضوع (المكتبات في العالم الإسلامي طول التاريخ) لأول مرة من جامعة كراتشي، وكان متأثراً من كتاب الأعلام للزركلي.
وقال الأستاذ عبدالمجيد: قرأت شرح النخبة على الأستاذ النعماني حفظه الله، ثم ذكر إسناده إلى صاحب الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- وأجاز تدريسه وروايته للمشتركين في الدورة.

واحة الشعر العربي

مقتبس من ديوان الإمام الشافعي
(رحمه الله)

رأيت العلم صاحبه كريم
ولـو ولدتـه آباءُ لئامُ
وليس يزال يرفعه إلى أن
يُعظم أمره القوم الكرامُ
ويتبعونـه فـي كل حـالٍ
كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ماسعدت رجال
ولاعُرِف الحلال ولا الحرامُ.

و أيضا منه

العلـمُ مغـرسُ كلِّ فخـرٍ
وَاحُذَرْ يَفُوتُك فَخْرُ ذَاكَ المَغْرَس
واعلم بأنَّ العلم ليس يِنَالهُ
منْ هَمُّهُ في مَطْعَمٍ أوْ مَلْبَسِ
إلاَّ أَخُو العِلم الَّذِي يُعْنَى بِهِ
في حالتيهَ: عاريا أو مكتسي
فاجعل لنفسكَ منهُ حظاً وافراً
وَاهْجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وَعَبس
فَلَعَلَّ يَوْماً إنْ حَضَرْت بِمَجْلِسٍ
كنتَ الرئيس وفخر ذاك المجلسِ

حقيقة السعادة

حسين رحيمي

قد قُدمت إليكم في هذه المقالة نبذة عن غاية هامة يدور حولها القرآن والأحاديث النبوية وأسأل الله ليفيدكم بهذا المكتوب فائدة تتجلى في أعماق قلوبكم لتحصيل الفوز والفلاح في دار الفناء والبقاء.

وهذه الغاية هو شيء قيم لا يقابله ثروة ولا قدرة وهو هدف حقيقي لكل مسلم، وهو الذي نسته القلوب وأصبح الإنسان لخلوها عنه غريقاً في لجة بحر عقائده الفاسدة وواقعاً في مهب الرياح الهائجة المخربة للعقائد الإسلامية والعواطف الدينية فصار الإنسان جثة هامدة تحملها الدهر على أكتافه.

هذا الشيء الثمين المنسي هو الإيمان، وهو الذي تطيب به المرارات والمكاره ويضيء الله به الطرق المظلمة لوصولنا إلى السعادة والكمال ويحرك به سواكن القلوب ويحيي موات النفوس وتظل أعناق الطغاة والمستكبرين خاضعين له، لأنه هو أشد قوة يسيطر على العالم، على ملوكه وحكامه وعلى المجتمعات والمؤسسات والأفراد والأديان، فإنه أقوى مصدر يأتي بالسعادة والفلاح ويهَبُ الأمن والصلاح وهو منبع نور يبيد الظلمة وينير الوجود ويسحق الضلالة ويقيم الهداية.

فيا عجباً، مع الأخذ بنظر الاعتبار بهذه القوة الإيمانية، نرى أناساً مضطربين في عصرنا هذا، لا يستقر لهم قرار لأجل ما أحاطتهم من العقبات والصعوبات، وإنهم يدقون كل باب إلا باب الإيمان لينجوا بأنفسهم عنها وينغمسوا في السكون والرفاه وهم لا يدرون أن أزمة الإيمان هي أزمة الأزمات ومصيبة المصائب وكارثة الكوارث.

فيتبدئ ظلام داج نراه في العالم السائر بهذه القوة الإيمانية التي ركبوها صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- وصاروا أعلاماً وقدوة للإنسانية وما زالوا مشاعل نور تستضيء بها الأجيال.

فإلى متى تجري هذه الفكرة الخاطئة في الأذهان الحائرة بأن السعادة والنجاة في ما يتفتش عنه الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها، وفي الأحزاب والأفراد والحكومات والتعديلات وإن الحقيقة تظهر أن السعادة ليس إلا في الإيمان.

والآن أشير إلى نكتتين ذهبيتين اللتين تفجران الإيمان في القلوب وتعينان الإنسان على النجاح والفلاح:

النكتة الأولى هي معرفة الله بأسمائه وصفاته، وتتحقق هذه المعرفة بالاعتقاد بأن لهذا الكون رباً واحداً تفرد بخلقه وملكه وتدبيره وتصريف شؤونه رزقاً وقدرة وفعلاً وإحياء وإماتة ونفعاً وضراً ولا ربَّ سواه ويفعل وحده ما يشاء ويحكم ما يريد، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده ملكوت السموات والأرض وهو على كل شيء قدير، وله الأمر كله، وبيده الخير كله، ليس له شريك في أفعاله، لا غالب على أمره، وهو غني عما سواه.

وأما النكتة الثانية هي معرفة النفس، حقارتها وهوانها، وا عجبا لمن يتكبر في الأرض وغُرّ بربه الذي يرعاه وبيده الرياح، بيده العواصف وبيده الأمصار وبيده إنبات النبات، وبيده مسببات الأمراض.

بأي شيء يفتخر الإنسان وهو خلق من نطفة قذرة، ألم يسمع هذا المسكين ربه الكريم يقول: أنا الحي الذي لا أموت، فإن أطعتموني جعلتكم خالدين لا تموتون في جنة عرضها السموات والأرض، أنا الملك الذي لا أزول، هلموا أطيعوني أجعلكم ملوكاً، كلما دعوتموني أجبتكم، كلما سألتموني أعطيتكم.

أيفتخر الإنسان بنفسه ووجوده متعلق بشروط لو منعت عنه الهواء يموت، لو حيل بينه وبين الماء يموت، ولو منع عنه الطعام إلى أمد معلوم يموت، لو حرمته من الزوجة يختل توازنه، لو حرمته من الأولاد يشعر بالقلق، فوجود اللإنسان قائم على غيره، على شروط لا يملكها لكن وجود الله سبحانه وتعالى ذاتي، لذلك قال الله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ.

يا أيها الأعزاء! لا تنسوا أن أركان الكفر أربعة: الكبر، وهو مانع عن الإيمان والإنقياد، والحسد هو مانع عن النصيحة، والغضب وهو مانع عن العدل والآخر الشهوة وهي مانع عن التفرغ للعبادة.

إن امتناع قريش عن الإيمان إنما هو بسبب الكبر وهذا دليل على أن منشأ الإعراض عن الإيمان والإصرار على الكفر هو التكبر، والكبر يصرف الإنسان عادة عن النظر في الحق ويؤدي إلى التكذيب به ويجعل المتكبر غافلاً عن آيات الله الدالة على عظمة الله، فإن تحبوا أن تصلوا إلى حلاوة الإيمان فانخلعوا عن رداء الكبر، فإنه رداء لا يحسن إلا بالله تعالى، المتكبر العزيز العظيم الجبار القهار، وكونوا متواضعين لرب العالمين وءامنوا بجميع صفاته وأسمائه الحسنى.

وفي الأخير نسأل الله أن يجعل لنا في هذه الدنيا محطات نتزود فيها بالإيمان ونمحو ما علق بقلوبنا من آثار الذنوب و الغفلات.

أنباء الجامعة

* حضر عدد من أساتذة دارالعلوم مكي بزاهدان كالدكتور عبيدالله بادبا، والشيخ عبدالرحمن محمد جمال، والأستاذ أدهم سباهي بدعوة من الجامعة لإلقاء بعض المحاضرات للطلاب في موضوعات متنوعة ليومين.

* عقدت الجامعة مباريات في الخطابة، واختبارات إحصائية في مادة التفسير، والنحو، والصرف، ومنحت للفائزين جوائز.

* عقدت الجامعة الاختتامية للنادي العربي، ومنحت جوائز لبعض الناشطين في مجال اللغة العربية.

* تخرج في الجامعة هذا العام٣٧ طالبا، ٢٧من البنين، و ١٠من البنات، وأقيمت حفلة تكريم لهم.

* انعقدت جلسة الخيّرين مساء السبت ٢٦\شعبان المعظم\حضرها عدد كبير من المتبرعين وقدّموا من أموالهم إلى الجامعة.

* طبعت ترجمة كتاب (كشف الباري شرح صحيح البخاري) للشيخ سليم الله خان-رحمه الله-، في خمسة مجلدات، نقله إلى الفارسية أستاذ الحديث ورئيس قسم التخصص في الفقه بالجامعة عبدالأحد حنفي-حفظه الله-.

* عقدت الجامعة في الإجازة الصيفية دورات متنوعة في التفسير، وأصول الحديث، والأدب العربي، والترجمة والإنشاء الفارسي، والصرف، والنحو.

أنباء العالم

*«همدان» عاصمة السياحة الآسيوية لعام ٢٠١٨

تم اختيار مدينة «همدان» غرب الجمهورية الاسلامية الايرانية كعاصمة السياحة الآسيوية لعام ٢٠١٨ للميلاد، وذلك خلال الإجتماع الثاني لمنتدى حوار التعاون الآسيوي (ACD) الذي أقيم مؤخراً بمدينة «سيام ريب» في كمبوديا.

* ندوة للمسلمين الجدد بالعاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس

يُقيم المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة الأرجنتينية «بوينس آيرس» - ندوةً تثقيفية للمسلمين الجدد تتضمن الندوةُ الإسلامية محاضراتٍ تشمَل أساسيات العقيدة الإسلامية والفقه، بالإضافة إلى تنظيم بعض الحلقات الدراسية للمسلمين الجدد، كما يُقيم المركز على هامش الندوة مأدبةَ إفطارٍ وغداء للحضور؛ المصدر: شبكة الألوكة.

*السعودية تطلق موسم العمرة أول محرم

أعلنت السعودية، إطلاق موسم العمرة مبكرًا، ليبدأ بعد ١٠ أيام؛ بهدف زيادة أعداد المعتمرين، وفقًا لـ«رؤية المملكة ٢٠٣٠».

ووفق ما نقلته صحيفة «عكاظ» السعودية، أعلنت وزارة الحج والعمرة، تقديم موسم العمرة، ليبدأ أول شهر محرم، بدلاً مما هو معتاد في كل عام اعتباراً من أول صَفر.

خلال العام الماضي، تجاوز عدد المعتمرين من خارج المملكة، ٧ ملايين، حسب تقارير صحيفة سعودية.

والعام الماضي، أعلنت الرياض «رؤية السعودية ٢٠٣٠»، التي تستهدف خفض اعتمادها على النفط كمصدر رئيس للدخل، وتنويع الإيرادات المالية.

المصدر: المجتمع

مرحبا بوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي اللّه عنه- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقْنُوهُمْ قُلْتُ لِلْحَكَمِ مَا اقْنُوهُمْ قَالَ عَلِّمُوهُمْ» رواه ابن ماجه ٢٤٧

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: كان رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- يقول: «اللّهمّ انفعني بما علّمتني، وعلّمني ما ينفعني، وزدني علما، والحمد للّه على كلّ حال» رواه الترمذى (٣٥٩٩)

AL-ANVAR
journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD
19_20

إلى القرّاء الكرام

مجلّة الأنوار تصدر برئاسة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده وتحت إشرافه وتوجيهاته، وهو عرف منذ باكورة مساعيه العلمية و الدعوية بالمرونة والتوسّط والتحرّز عن أي فكر يحمل إفراطاً وتفريطاً في الدين ولا يزال يدعو إلى ذلك بمواعظه ونصائحه ويسعى أن يدرّب الجيل الجديد وأصحاب القلم على مجانبة أي اصطدام فكري وعقائدي مع الفرق الأخرى وهو مع ذلك يتألّم لأوجاع العالم الإسلامي ويهتمّ بأمور المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويرى أن المدارس الدينيّة معاقل حصينة لصيانة حقيقة الإسلام ونشر التعاليم الصحيحة المستنبطة من القرآن والسنّة والصدع بالحق وتوجيه الشعب نحو الأهداف المنشودة الحقّة وإنقاذه عن الانحرافات والضلالات.

فالمجلّة من هذا المنطلق تحتضن أهدافاً تدعو إليها بالقلم وهي كالتالي:

- التصوير الدقيق للإسلام وتبليغ الكتاب والسنّة
- الدعوة إلى التوسّط والاعتدال في الفكر والعقيدة
- توعية الأمّة لمواجهة الحركات الهدّامة كالاستشراق والتبشير
- تثقيف الجيل الجديد وتربيته تربية ثقافية إيمانية إسلامية بحيث يجيب كافّة حاجات المجتمع ويوائم مع مستجدّات العصر
- إحياء تراث خراسان الثقافي والتعريف برجالها من الدعاة والمحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين
- أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلم
- الدعوة إلى اتحاد جميع الاتّجاهات الدينيّة
- إعادة الثقة إلى نفوس الشباب بأنّ الإسلام لا يزال غضّاً طريّاً لا تبلى جدّته